الصحابة الكرام في المغرب
بين الحقيقة التاريخية والموروث الشعبي
ومحاولة استقراء لآثار عقبة بن نافع
ومشروعه في فتح المغرب ومن معه من الصحابة،
وما جاء في صحبته وصحبة رجال رجراجة السبعة

د. عبد الهادي حميتو

ملخص البحث

عنيت في هذا المحور بالجانب التاريخي لفتح المغرب، وركزت على ذكر الصحابة الفاتحين وأعدادهم وأسمائهم، وآثار وجودهم في الجيش في رفع المعنويات والتماس البركات، كما استعرضت طائفة من البشارات النبوية الواردة على لسان رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة في الحديث عن مستقبل الدين واتساع ملك الأمة وموضع أهل المغرب من النصرة والجهاد، وتتبعت أخبار الفتوحات التي توجهت إلى مصر وإفريقية وجزر البحر الرومي كصقلية والحملات المبكرة نحو القسطنطينية والأندلس، وأوردت النقول التاريخية التي تتحدث عن مشاركة الصحابة في تلك الوقائع، وجردت لائحة بأسماء مشاهير من دخل إفريقية وما وراءها من أقطار المغرب والأندلس من الصحابة في الفتح، كما ركزت بصفة خاصة على النشاط القيادي لعقبة بن نافع المعدود من الصحابة بالمولد والإدراك، وما كان له من مشروع ريادي في فتح المغرب بجميع أقطاره وأطرافه، وتحدثت عن حملاته المتعددة وولايته أخيرا وبنائه للقيروان التي أصبحت قاعدة المغرب ومنطلق الفتوحات نحو المغرب والأندلس، وتتبعت أطوار الفتح عند عقبة بن نافع إلى منتهى أثره في فتحه لإفريقية وبلاد الزاب والمغرب الأوسط وبلاد طنجة وما يليها، وتحويل خط سيره من جهة المجاز والأندلس إلى الجهات الداخلية من بلاد وليلي وصنهاجة ودرعة ومصمودة ونفوسة وصحراء لمتونة والسوس الأقصى، والعودة عن طريق ماسة وإيجلي وتارودانت وآسفي ودكالة ثم نفيس وصودة وأغمات، واختراق قبائل الأطلس إلى الوصول إلى الزاب حيث استشهد رضي الله عنه مع زهاء ثلاثمائة معه من الصحابة والتابعين وهو في طريقه إلى القيروان.

وتتبعت بعد هذا الجرد التاريخي نتائج حملة عقبة وأصحابه وآثارها، فتحدثت عن هذه النقاط في مباحث:

- تحقيق القول في صحبة عقبة بين المحدثين والمؤرخين.
- كم دخل معه من الصحابة واستشهد منهم؟

- منازل عقبة والمساجد المنسوبة إليه ومشاهد الصحابة في المغرب والأندلس.
- رباط شاكر وصلته بعقبة بن نافع ورجال رجراجة.
- أولاد عقبة ومكانتهم في مقاومة النحل الفاسدة وصلاتهم بالخلفاء في المشرق، ومحاولة تأسيس إمارة بالأندلس عند سقوط دولة الأمويين بالمشرق، ومن ينتمي إليهم من الفهريين وغيرهم إلى اليوم.
- المصحف العقباني في المغرب وأهميته ومصيره.
- الخلاف في الفاتح الأول للمغرب عقبة أو رجال رجراجة السبعة؟ وما قيل في صحبتهم في الموروث الشعبي المتداول.
- أنوع أخرى من الصحبة الاعتبارية والشعبية ومعتمد القائلين بها من الصوفية ورواة الآثار تعلقا منهم بالجانب النبوي الشريف.

الباحث في سطور

الدكتور عبد الهادي حميتو hassanhmito@hotmail.com

- من مواليد عام 1943م.
- أستاذ باحث في القراءات وعلومها وعلوم القرآن الكريم.
- أستاذ مكون بالمركز التربوي الجهوي محمد الخامس بآسفي.
- عضو المكتب التنفيذي للرابطة المحمدية للعلماء بالرباط.
- دكتوراه الدولة من دار الحديث الحسنية بالرباط سنة 1995م، في موضوع: قراءة الإمام نافع عند المغاربة.

من إنتاجه العلمي:

- قراءة الإمام نافع عند المغاربة. مطبوع في سبع مجلدات.
- معجم شيوخ الحافظ أبي عمرو الداني إمام القراء في الأندلس والمغرب.
- معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني إمام القراء في الأندلس والمغرب.
- حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، مطبوع في جزءين.

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

حضرات السادة:

- السيد الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء الدكتور أحمد عبادي المحترم.
- السادة الأفاضل الباحثين والمشاركين والطلاب والطالبات.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فإنها لفرصة طيبة تتاح لنا مرة أخرى في هذا اللقاء الأخوي الكريم، ومبادرة حميدة من المبادرات القيمة التي عودتنا الرابطة المحمدية للعلماء بعقد سلسلة من الندوات العلمية والأكاديمية نهوضا منها برسالتها التربوية والتوجيهية، وانسجاما مع مهمتها المولوية التي أناطها بها مؤسسها أمير المؤمنين أيده الله ونصره في المنافحة عن قيم الأمة ومقوماتها والذود عن حرماتها ومقدساتها، والتنويه بثوابتها ومكونات شخصيتها وهويتها ووحدتها. وإن اقتراح الرابطة المحمدية الموقرة لموضوع: «الصحابة الكرام في التراث المغربي الأندلسي» لِيأتيَ في هذه الظرفية التي نعيش أصداءها ونلمس آثارها في بعض القنوات المرئية الموجهة وما تبثه من سموم، وخاصة فيما يتعلق بالصحابة الكرام، مما يخل بما يجب لمناصبهم الكريمة من واجبات التجلة والتوقير والاحترام، لهو اقتراح موفق يستجيب لما تمليه عليها رسالتها ومهمتها، وينطلق من حرصها على تجديد الطابع العام للثقافة المغربية، المنطلقة من قناعاتها العقدية، ومذاهبها الفقهية، وتوجهاتها الفكرية، ومواقفها التاريخية والحضارية، وذلك بالتركيز على ما

للصحابة الكرام عبر تاريخنا في المغرب والأندلس من تأثير انطبعت بطابعه الحياة الشعبية، وبلورته أقلام المؤلفين من مختلف الفئات، في ما صدر عنهم من دواوين ومصنفات، كما انعكس في ما أنتجوه من آداب شعرا ونثرا مما يستعصي على الإحصاء، ويفوت الاستقراء والاستقصاء.

ولقد كان لأهل المغرب والأندلس في هذا الصدد من الخصوصية في موقفهم من الصحابة طوال تاريخهم وتعاقب دولهم ما ميزهم عن سائر الأقطار، وهي خصوصية مدعاة للفخار، نوه بها في القرن الخامس الهجري العلامة المؤرخ أبو محمد فتوح بن عبدالله الحميدي الأندلسي (ت488هـ) صدر كتابه جذوة المقتبس حين قال وقد أدرك عهد الوحدة السياسية بين العدوتين: «ومن فضل الأندلس أنها لم يذكر قط أحد على منابرها من السلف إلا بخير»[1].

وقال الأديب ابن شبرين الأندلسي في نظمه لكتاب «ميزان العمل» لأبي علي الحسين ابن رشيق المرسي:

هذا هو الصدر الكريم الأول ... أهل السوابق التي لا تجهل
نُمسك عما بينهم قد شجرا ... وبالرضا يذكرهم من ذكرا[2]

وقال الشاعر عبد العزيز الملزوزي في أرجوزته «نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك» حين بلغ إلى ذكر مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه:

(1) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي (ص14)، وتبعه المراكشي في المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص26 ـ 27).

(2) انظر كتاب «ابن رشيق المرسي، حياته وآثاره» للدكتور محمد بنشريفة (ص9 ـ 10) منشورات وزارة الأوقاف1429هـ.

أردت أن أذكـر مـا كان الـسبب لكنـه الإمـساك عنـدي قـد وجـب
إن كنـت ذا عقـل وذا إنابـة فـاترك حـروب سـائر الـصحابة(1)

فما الذي خص المغرب والأندلس بهذه الخصيصة من التوقير لمنصب الصحبة النبوية والاعتراف للمنضوين تحت هذه الصفة الشريفة الجليلة بالخصوصية العقدية التي عبّر عنها حافظ القراءات وإمام القراء أبو عمرو الداني في أرجوزته «المنبهة» حيث قال في فصل منها تحت عنوان:«القول في حب أصحاب النبيﷺ»:

وحـب أصـحاب النـبي فـرض ومـدحهم تَزلُّـفٌ وقـرض
وأفـضل الـصحابة الـصديق وبعـده المهـذب الفـاروق
وبعـده عثمـان ذو النـورين وبعـده علي أبـو الـسبطين
وبعـد هـؤلاء بـاقي العـشَرة الأتقيـاء المرتـضين الـبررة
أهـل الخـشوع والتـقى والخـوف طلحـة والـزبير وابـن عـوف
ثُمـتَ سـعد بعـدهم وعامـر ثـم سـعيد بـن نفيـل العـاشر
وسـائر الـصحب فهـم أبـرار منتخبـون سـادة أخيـار
وربنـا جللهـم إنعامـه وخـصهم بالفـضل والكرامـة
والـسمع والطاعـة للأئمـة مفـترض على جميـع الأمـة
وهـم على مـا جـاء مـن قـريش بـذا أديـن الله طـول عيـشي
وأمـراؤهم كهـم في الطاعـة هـذا الذي تقـوله الجمـاعة(2)

(1) نظم السلوك (ص 22)، البيتان 150 ـ 151.

(2) الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات للحافظ أبي عمرو الداني(1/ 556 ـ 559)، الأبيات من 559 إلى 569.

وقال الإمام أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي في آخر كتاب «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء» بعد كلام في فضل الصحابة الكرام: «وأحق ما اعتُلِق من حبهم، والإيواءِ إلى شِعبهم، والثناء عليهم، والانضواء إلى قربهم بأوثق أسباب العصمة، وأمتن ذرائع الحُرمة والرحمة، وكلُّ صحابة المصطفى أهل لذلك، والموفق من سلك في حبهم هذه المسالك»، ثم أنشد:

وما فضل أصحاب النبي وقومه ... لمن رام إحصاءً له بمحسَّب
ولكنه أجر وذخر أُعِدُّه ... وأجعله أمني وحصني ومذهبي
سأقطع عمري بالصلاة عليهمُ ... وأدأب في حبي لهم كل مدْأَب
إليك رسولَ الله منها وسيلة ... تناجيك عن قلب بحبك مشرب
يزورك عن شحط المزار مسلما ... فيلقاك بالإخلاص لم يتنكَّب[1]

وسلوكا مني لهذه المحجة رجاء انتظامنا في رعيل أبي عمرو الداني وأبي الربيع الكلاعي وما صدر عنهما من هذه الأنفاس العطرة تجاه الصحابة الكرام، اخترت أن يكون محوري في الحديث عن «الصحابة الكرام في التراث المغربي الأندلسي» من خلال الجرد التاريخي لدخول الصحابة للمغرب والأندلس وأخباره وما أثير حول صحبة عقبة بن نافع أو عدمها وما كان لآل عقبة بعده في المغرب من آثار في تثبيت قيم الإسلام ومقاومة النحل الوثنية والخارجية، وما يذكر لرجال رجراجة السبعة من شرف الصحبة وغير ذلك مما يعتبر داخلا في المفهوم العام للتراث بما يشتمل عليه من تاريخ موثق وموروث شعبي ما تزال له آثاره إلى اليوم.

(1) كتاب الاكتفاء للكلاعي ـ القسم المخطوط.

وأستهل العرض لمباحث هذا المحور بما اعتاد المؤلفون في فضائل البلدان الاستفتاح به من ذكر ما ورد في الأحاديث والآثار النبوية الشريفة في فضل المغرب وأهله ووصول الدين إليهم، وما سوف يكون لهم من المنزلة في الدخول فيه والثبات عليه إلى يوم الدين. وهو المبحث الأول: البشارة بفتح المغرب في السنة والآثار.

المبحث الأول: البشائر بفتح المغرب في السنة والآثار

اعتاد المؤلفون في تاريخ البلدان في المشرق والمغرب أن يستهلوا الحديث قبل تفصيل الحوادث والأخبار أو الترجمة لمن دخل البلاد من الصحابة والتابعين، ومن كان بها من العلماء والعباد ونحو ذلك، بتخصيص الفصل الأول لما ورد في السنن والآثار في فضل تلك البلاد أو تلك الجهة وفضائل من ينتسب إليها. وقد كثرت المصنفات في فضائل البلدان استقلالا حتى التي لم يكن لها وجود على عهد النبوة وإنما دخلت في فضيلة البلد أو الجهة باعتبار العموم، وفي كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة نقرأ في حرف الفاء عن فضائل كثير من البلدان والبقاع مثل مكة والمدينة ودمشق والبصرة وبغداد وفضائل الشام وبيت المقدس واليمن وأهله وحتى فضائل غرناطة بالأندلس لابن السراج محمد بن إبراهيم الغرناطي[1].

ولم تشذ عن ذلك كتب المغاربة المؤلفة في التاريخ الخاص أو العام أو السيرة، إلا أن كل مؤلف كان يحمل ما ورد من ذلك على أنه يعني بلده أو جهته أو أهل جهته أو بلده، فمؤرخو أفريقية كأبي العرب التميمي في كتاب «طبقات علماء إفريقية» وكأبي بكر المالكي في كتاب «رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية» وأبي زيد الدباغ الأنصاري في «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» وغيرهم، حملوا ما ورد في فضل أهل الغرب أو أهل المغرب على أن المراد أهل إفريقية لأنها أول المغرب، بل جاءت مصرحا بها في أحاديث عدة عند أبي العرب[2].

---

(1) انظر كشف الظنون (2/ 1274 ـ 1278).

(2) انظر طبقات علماء إفريقية لأبي العرب: باب ما جاء من الفضائل في إفريقية (ص1 ـ 7)، وتبعه على ذلك المالكي في رياض النفوس (1/ 8).

ومؤرخو المغرب والأندلس أيضا كل حمل الرواية على بلده أو جهته، وهذا الإمام أبو محمد الحميدي صاحب «جذوة المقتبس» يستهل كتابه بقوله في صدره: «وقد جاء في فضل المغرب غير حديث، من ذلك ما أخرجه مسلم بن الحجاج في الصحيح، رواه عن يحيى بن يحيى عن هشيم بن بشير الواسطى عن داود بن أبي هند عن أبي عثمان النهدى عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال: لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة». قال الحميدي: «وهذا النص وإن كان عاما لما يقع عليه، فللأندلس منه حظ وافر؛ لدخولها في العموم، ومزية لتحققها بالغرب وانتهاء آخر المعمور فيه، وبعض ساحلها الغربي على البحر المحيط، وليس بعده مسلك»[1].

وكذلك فعل المؤرخ عبد الواحد المراكشي في كتاب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» فقد أسند حديث الإمام مسلم وذكر نحوا مما ذكر الحميدي[2].

وفعل مثل ذلك المؤرخ ابن عذاري المراكشي في أول كتاب «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» حيث استهله بفصل في «ذكر فضل المغرب وما ورد فيه من الأخبار والآثار» وساق جملة من ذلك وذكر الحديث الوارد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» ثم ساق حديث مسلم السابق بلفظ «لا يزال أهل المغرب...» الخ وأحاديث أخرى ومنها بالسند إلى أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ واقف إذ توجه تلقاء المغرب فسلم وأشار بيده، فقلت: على من تسلم يارسول الله؟ قال: على رجال من أمتي يكونون في هذا المغرب بجزيرة يقال لها الأندلس، حيهم مرابط وميتهم شهيد..»[3].

---

(1) جذوة المقتبس (ص14).

(2) المعجب (ص28).

(3) بيان المغرب (1/ 7).

وقال القاضي أبو الفضل عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى في فصل في أعلام نبوته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بما وعدهم به من الظهور على أعدائه، وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله...»، ثم ذكر جملة من الأحاديث في ذلك وقال:«وكذلك كان، امتدت في المشارق والمغارب مما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة، حيث لا عمارة وراءه، وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم، ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك»[1]. ثم أورد عياض الحديث السابق: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» وقال: «ذهب ابن المدينى إلى أنهم العرب؛ لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهى الدلو، وغيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب، وقد ورد «المغرب» كذا في الحديث بمعناه، وفى حديث آخر من رواية أبى أمامة «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك»[2].

واستهل أبو يعقوب ابن الزيات التادلي كتابه «التشوف إلى رجال التصوف» بهذا الحديث أيضا ولم يرتض تأول من تأوله على أن الغرب الدلو، وساق لبيان المراد حديثا قال:«رويناه من طريق بقي بن مخلد في مسنده»، ثم ذكر الحديث بلفظ «لا يزال أهل المغرب»، وذكر طرقا أخرى بهذا اللفظ، ثم استظهر على هذا برسالة الإمام أبي بكر الطرطوشي نزيل الإسكندرية إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بمراكش، وذكر فيها الحديث المذكور في صحيح مسلم ووجهه على أحد معنيين: أحدهما أنه أراد أهل المغرب لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والإحداث

(1) الشفا (1/ 472 ـ 474).

(2) نفسه (1/ 475).

في الدين، والاقتفاء لآثار من مضى من السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فشرفوا بهذه المآثر شرفا، وشغفوا بهذه المفاخر شغفا[1].

ولم يفت الإمام أبا محمد علي بن حزم نصيبه من الفرح بهذه البشائر وتوظيفها في الدلالة على فضل بلاده الأندلس فقال في «رسالة فضل الأندلس» في سياق تعداده لفضائلها: «وأنا أقول: لو لم يكن لأندلسنا إلا ما رسول الله ﷺ بشر به، ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الأسرة، في الحديث الذي رويناه من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان زوج أبي الوليد عبادة بن الصامت ـ رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين ـ حدثته به عن رسول الله ﷺ أنه أخبرها بذلك، لكفى شرفا بذلك يسرُّ عاجله، ويُغبَط آجله، فإن قال قائل: لعله ـ صلوات الله تعالى عليه ـ إنما عنى بذلك الحديث أهل صقلية وإقريطش، وما الدليل على ما ادعيته من أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنى الأندلس حتما، ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذو ورع دون برهان واضح، وبيان لائح لا يحتمل التوجيه ولا يقبل التجريح؟ فالجواب ـ وبالله التوفيق ـ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، وأمر بالبيان لما أوحي إليه، وقد أخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج البحر غزاة واحدة بعد واحدة، فسألته أم حرام أن يدعو ربه تعالى أن يجعلها منهم، فأخبرها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخبره الحق بأنها من الأولين، وهذا من أعلام نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو إخباره بالشيء قبل كونه، وصح البرهان على رسالته بذلك، وكانت من الغزاة إلى قبرس، وخرت عن بغلتها هناك فتوفيت رحمها الله تعالى، وهي أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر، فثبت يقينا أن

---

(1) التشوف (ص31 ـ 32).

الغُزاة إلى قبرس هم الأولون الذين بشر بهم النبي ﷺ وكانت أم حرام منهم كما أخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه، ولا سبيل أن يظن به ـ وقد أوتي ما أوتي من البلاغة والبيان ـ أنه يذكر طائفتين قد سمى إحداهما أولى، إلا والتالية لها ثانية، فهذا من باب الإضافة وتركيب العدد، وهذا مقتضي طبيعة صناعة المنطق؛ إذ لا تكون الأولى أولى إلا لثانية، ولا الثانية ثانية إلا لأولى، فلا سبيل إلى ذكر ثالث إلا بعد ثان ضرورة، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما ذكر طائفتين وبشر بفئتين، وسمى إحداهما الأولين، فاقتضى ذلك بالقضاء الصدق آخرين، والآخر من الأول هو الثاني الذي أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه خير القرون بعد قرنه، وأولى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله ﷺ بأنه خير من كل قرن بعده...»[1].

وهكذا افتتح أبو عبد الله الحميري الأندلسي أيضا كتابه «الروض المعطار في خبر الأقطار» فقال في جزئه المفرد باسم «صفة جزيرة الأندلس»: «والأندلس دار جهاد وموطن رباط، قد أحاط بشرقيها وشمالها وبعض غربها أصناف أهل الكفر».

وروي عن عثمان رضي الله عنه أنه كتب إلى من انتدب إلى غزو الأندلس: أما بعد، فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن فتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام. وعن كعب الأحبار أنه قال: يعبر البحر إلى الأندلس أقوام يفتحونها يُعرفون بنورهم يوم القيامة». ثم ذكر بعض من دخل الأندلس من الصحابة والتابعين. ثم ذكر أيضا من هذه البشائر عند ذكر فاتح الأندلس طارق بن زياد أنه «ذُكر عن طارق أنه كان نائما في المركب فرأى في منامه النبي ﷺ والخلفاء الأربعة يمشون على الماء حتى مروا به، فبشره النبي ﷺ بالفتح، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد».

(1) رسالة في فضل الأندلس ـ ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي ـ (2/ 173 ـ 174).

قال:«وفي حكاية أنه لما ركب البحر غلبته عيناه، فرأى النبي ﷺ وحوله المهاجرون والأنصار قد تقلدوا السيوف، وتنكبوا القسي، فيقول له النبي ﷺ: «يا طارق تقدم لشأنك»، ونظر إليه وإلى أصحابه قد دخلوا الأندلس قدامه، فهب من نومه مستبشراً وبشر أصحابه، ولم يشك في الظفر»[1].

ولقد جاءت في بعض الآثار بخصوص البشارة بفتح المغرب روايات عديدة ساق منها المؤلفون في تاريخ إفريقية كثيرا، كأبي العرب في كتاب طبقات علماء إفريقية والمالكي في رياض النفوس وغيرهما، ولعل أغرب أثر في ذلك هذا الأثر الذي ذكره أبو محمد حسن ابن علي بن القطان المراكشي في كتابه «نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان»، ونقله الناصري في الاستقصا، وفيه أنه «لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستفتحت مدينة مصر وكان عليها عمرو بن العاص، قدم عليه ستة نفر من البربر محلقي الرءوس واللحى، فقال لهم عمرو: من أنتم وما الذي جاء بكم؟ قالوا رغبنا في الإسلام فجئنا له؛ لأن جدودنا قد أوصونا بذلك، فوجههم عمرو إلى عمر رضي الله عنه وكتب إليه بخبرهم، فلما قدموا عليه ـ وهم لا يعرفون لسان العرب ـ كلمهم الترجمان على لسان عمر، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن بنو مازيغ، فقال عمر لجلسائه: هل سمعتم قط بهؤلاء؟ فقال شيخ من قريش: يا أمير المؤمنين هؤلاء البربر من ذرية بر بن قيس بن عيلان، خرج مغاضبا لأبيه وإخوته فقالوا: بر بر، أي: أخذ البرية، فقال لهم عمر رضي الله عنه: ما علامتكم في بلادكم؟ قالوا: نكرم الخيل ونهين النساء، فقال لهم عمر: ألكم مدائن؟ قالوا: لا، قال: ألكم أعلام تهتدون بها؟ قالوا: لا، قال عمر: والله لقد كنت مع رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فنظرت إلى قلة الجيش وبكيت، فقال لي رسول الله ﷺ: يا عمر لا تحزن، فإن الله سيعز هذا الدين بقوم من

(1) صفة جزيرة الأندلس عن الروض المعطار (ص3 ـ 4، 9).

المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يهتدون بها في الطرق. ثم قال عمر: فالحمد لله الذي منَّ علي برؤيتهم، ثم أكرمهم ووصلهم وقدَّمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه، وكتب إلى عمرو بن العاص أن يجعلهم على مقدمة المسلمين، وكانوا من أفخاذ شتى، والله أعلم»[1].

وحتى بخصوص طنجة زعم مؤلف كتاب «الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية» محمد المشرفي أن النبي ﷺ بشر بفتحها فقال تحت عنوان «فتح طنجة»: وهي عريقة في التمدن شهيرة، وكفى بذلك أن النبي ﷺ قال في إخباره بالغيب ـ كما في شفاء القاضي عياض ـ: يبلغ هذا الدين طنجة التي لا عمارة وراءها»[2].

ولا شك أن هذا تأويل بعيد، للخبر الذي أورده عياض ولم يذكر فيه النبي ﷺ طنجة صراحة، وإنما فيه كما ذكره عياض: «أنه زويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمته ما زوي له منها». قال عياض: «وكذلك كان»، ثم ذكر ما تقدم من امتداد ملك الأمة إلى الهند في أقصى المشرق، وإلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه[3].

❁ أثر هذه البشائر في رفع معنويات جنود الفتح:

وبقطع النظر عن درجات ما ليس في الصحيح من هذه الأحاديث والآثار، وعن التأويلات التي تأولها عليها رواتها والمعتمدون عليها في تقرير فضائل البلدان والجهات وأهلها، فإننا لا ينبغي أن نغفل عن أثرها البليغ في رفع معنويات الجند الفاتح ثم

---

(1) الاستقصا (1/ 74)، وانظر القصة مع بعض اختلاف في كتاب مفاخر البربر (ص180 ـ 181).

(2) الحلل البهية (1/ 304).

(3) انظر الشفا (1/ 474).

معنويات المنتسبين إلى هذه البلدان والجهات حين كانت تبلغهم عن الثقات مروية وموثقة بالأسانيد، ولا سيما ما كان من ذلك مما كان يأثره الصحابة الفاتحون أنفسهم عن فضائل تلك البلدان والجهات، ويرويه عنهم ثقات التابعين ككثير مما قدم به أبو العرب في كتاب «طبقات علماء إفريقية» في نحو خمس صفحات كلها في فضل إفريقية وفضل رباط المنستير بساحلها، وكذلك ما ساقه المالكي في مقدمة كتابه «رياض النفوس».

ولقد كان القراء والقصاص يخرجون في الفتوحات إلى جانب فقهاء الصحابة حتى من كان منهم في سن متقدمة؛ إذ لم تكن مهمة الخارج في مثل هذه الحملات تنحصر في القتال. وهذا الصحابي الجليل المقداد بن الأسود الذي شهد مع رسول الله ﷺ بدرا وغيرها من المغازي يذكر المالكي في «رياض النفوس» أنه «غزا إفريقية مع ابن أبي سرح ـ يعني في عهد عثمان ـ قال: وكانت له مقامات مشهورة، ذكر سفيان بن الحارث أنهم قالوا للمقداد: إنك ثقلت وتخرج في هذه المغازي؟ فقال: خفيفا كنتُ أو ثقيلا لا أتخلف عنها؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز:﴿إِنفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً﴾[1]»[2].

وكانوا يحدثون ببشائر النصر قبل تحققه يقينا منهم بما تضمنته آي الذكر الحكيم من مثل قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلذِےٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدۭيٰ وَدِينِ اِ۬لْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[3] ومثلها في سورة الفتح:﴿هُوَ ٱلذِےٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدۭيٰ وَدِينِ اِ۬لْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

(1) التوبة: الآية 41.

(2) رياض النفوس (1/ 73 ـ 74).

(3) التوبة: الآية 33، والصف: الآية 9.

شَهِيداً﴾[1]. ويقينا بمثل ما تضمنه قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث ثوبان رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «إن الله تعالى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها»[2]. وقد قال الصحابة لوالي صقلية من قبل الروم عند نزول مراكبهم عليها ومحاورتهم له فيما ذكره ابن أعثم في كتاب «الفتوح»: «لقد أخبرنا نبينا محمد ﷺ من قبل وفاته بأن الله تعالى يفتح علينا ويظهرنا على جميع أهل الأديان، وقد بلغك ما كان منا بأرض الشام..»[3].

وكان وجود الصحابة في الجيش كثرة وقلة مدعاة لمزيد من الطمانينة واستشعار بوادر النصر تحقيقا لما أخبر به الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقولون: هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»[4]. وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالون بخير ما دام

---

(1) الفتح: الآية 28.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي:(18/ 11) كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم الحديث 2889.

(3) كتاب الفتوح لأبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (2/ 140 ـ 141).

(4) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي د ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، حديث رقم 3649. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم2532.

فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني»[1].

وقد ظهر مصداق هذه الأحاديث الشريفة في واقع الفتوحات الإسلامية وبان مدلوله كالشمس في رابعة النهار، فإن امتدادات الفتح الإسلامي وما تحقق فيها من انتصارات واتساع رقعة ديار الإسلام إلى أقصى مداها إلى السند شرقا وإلى آخر حدود الأندلس غربا إنما تمت خلال هذه الأطوار الثلاثة من وجود الصحابة في طلائع فتوح الشام والعراق ومصر، ثم وجود بعضهم بعدد محدود وباقي من معهم في الحملات من التابعين ثم انقراض جيلهم وتناقص التابعين ممن صحبوهم، وتحقق آخر الانتصارات في عهد أتباع التابعين، ثم اختلفت الأحوال كما قدمنا من قول القاضي عياض في الشفا.

لهذا كان خروج الصحابة في الجيش مهما يكن عددهم كان محلّ حفاوة واغتباط لما كان يرجى من بركة وجودهم وتحقق الوعد النبوي الذي لا يخيس بمسير الفتح والنصر في ركاب الصحابة الفاتحين، وذلك ما نتابع الإشارات إليه في الحملات التي اتجهت إلى إفريقية لتمهيدها للإسلام في عصر الصحابة الكرام.

---

(1) المصنف (12/ 178). قال ابن حجر: إسناده حسن. فتح الباري (7/ 5).

المبحث الثاني: حملات الفتح نحو إفريقية والمغرب وما كان للصحابة من وجود فيها وأولية عقبة بن نافع.

المراد بإفريقية في الاصطلاح القديم قريب مما يعرف اليوم بالقطر التونسي، وكان التعبير السائد أن تذكر هذه الأقاليم والجهات التي تقع إلى جهة الغرب من البلاد الإسلامية في المشرق باسم «المغرب» هكذا مجردا من الصفة، فإذا أريد التدقيق قيل: «المغرب الأدنى» و«المغرب الأوسط» و«المغرب الأقصى» بحسب المسافة من المشرق. وأما التحديد الجغرافي القديم فقد ذكر ابن عذاري في مقدمة «كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» في ذلك فصلا تحت عنوان «ذكر حد المغرب وإفريقية وما اتصل بهما وعُدَّ معهما» نرى أن نسوقه هنا لما له من الأهمية في تمثيل المسار الذي سارت فيه حملات الفتح نحو إفريقية والمغرب في الصدر الأول على عهد الصحابة الكرام.

قال ابن عذاري المراكشي: «قال أبو مروان في كتاب «المقباس» وابن حمادة في كتاب «القبس» وغيرهما من المؤرخين لأخباره، المعتنين بآثاره: إن حد المغرب هو من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب، وحده مدينة سلا، وينقسم أقساما: فقسم من الإسكندرية إلى طرابلس، وهو أكبرها وأقلها عمارة، وقسم من إطرابلس وهي «بلاد الجريد»، ويقال أيضاً: «بلاد الزاب الأعلى»، ويلي هذه «بلاد الزاب الأسفل»، وحدها إلى مدينة «تيهرت»، ويليها «بلاد المغرب» وهي بلاد طنجة، وحدها مدينة «سلا» وهي آخر المغرب. وإذا جزت «سلا» وأخذت إلى ناحية الجنوب تركت مغرب الشمس يمنة، وأخذت منها قافلا إلى قبلة، فتسمى تلك البلاد «بلاد تامسنا»، ويقال لها أيضاً «بلاد السوس الأدنى»، وحدها إلى «جبل درن»، وإذا جزت هذا الجبل فعن يمينك «بلاد السوس الأقصى»، ويقال لها: «بلاد ماسة»،

ويتصل «السوس الأقصى» بـ «بلاد الصحراء» إلى «بلاد السودان»، وهي «بلاد الزنج». و«بلاد الأندلس» أيضاً من «المغرب» وداخلة فيه؛ لاتصالها به، ويليها «المجاز الأعظم» الذي يسمى «بحر الزقاق»، وفيه مصب «البحر الكبير» الذي يسمى «المحيط»، ويقال له «بحر الظلمات»... ويصب ماء «الزقاق» في البحر الرومي... وصار المغرب كالجزيرة دخل فيه بعض أعمال مصر وأفريقية كلها، و«الزاب»، والقيروان، والسوس الأدنى، والسوس الأقصى، وبلاد الحبشة..»[1].

وسوف نرى في أخبار الفتوحات في الصدر الأول كيف أسهم الصحابة الكرام في البلوغ بالدعوة إلى هذه الجهات والأقاليم في زمن قياسي لا يتجاوز بضعة عقود، وكيف خفقت راية الإسلام على رؤوسهم في الفتح في اتجاه المغرب والأندلس ابتداء من العشرة الثالثة بعد الهجرة النبوية وانتهاء إلى العشرة العاشرة إلى أن توفي آخر صحابي وصل إلى المغرب ودخل إلى الأندلس حتى توفي بها بعد الفتح وهو المعروف باسم «المنيذر الإفريقي».

ولا يخفى أن طبيعة العرض تقتضي منا الإيجاز والاقتصار في ذكر أخبار الفتح على ما فيه ذكر للصحابة لأن غرضنا إنما يتعلق باستقراء وجود الصحابة في تلك الحملات قلة وكثرة على عهد الولاة الفاتحين.

لقد كانت أولى الفتوحات في اتجاه المغرب انطلاقا من مصر بعد أن افتتحها الصحابي الجليل عمرو بن العاص سنة عشرين من الهجرة في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ. قال أبو عمر محمد بن يوسف الكندي في كتاب «الولاة والقضاة»: «وحاصر عمرو الإسكندرية ثلاثة أشهر، ثم فتحها عنوة، وهو الفتح الأول. ويقال:

---

(1) البيان المغرب (1/ 5 ـ 6).

بل فتحها مستهل سنة إحدى وعشرين، ثم سار عمرو إلى أنطابلس ـ وهي برقة ـ فافتتحها بصلح في آخر سنة إحدى وعشرين. ثم مضى منها إلى أطرابلس، فافتتحها عنوة سنة اثنتين وعشرين»[1].

ويظهر أن عمرو بن العاص قد اختار أن يولي مهمة استكمال فتح إفريقية وما وراءها لمن يكفيه مهمة القيادة ويرابط هنالك بصفة دائمة، فاختار لذلك ابن خالته عقبة بن نافع الفهري. ومن تأمل المسار الذي سار فيه الفتح من بدايته إلى وصوله إلى أقصى السوس والصحراء من المغرب الأقصى يدرك أن مشروع الفتح كان كله مشروع عقبة في جميع مراحله، وعلى هذا يدل قول الواقدي في كتابه، فقد روى من طريق أبي الخير اليزني قال: «لما فتحت مصر بعث عمرو إلى القرى عقبة بن نافع، فدخلت خيوله النوبة، واستأذن عمر في غزو المغرب، وأنه ولى عقبة بن نافع، فلم يأذن له، ثم أذن عثمان لعبد الله بن سعد، فأغزى عقبة فافتتح إفريقية واختط قيروانها»[2].

قال ابن عذاري في «البيان المغرب»: «فأول من دخل إفريقية غازيا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص، وكان استفتح مصر سنة عشرين من الهجرة، ووجه منها عقبة بن نافع الفهري إلى «لوبية» و«أفريقية» فافتتحهما، ثم توجه عمرو بنفسه إلى «برقة» فصالح أهلها على الجزية: دينار على كل حالم، وتوجه منها إلى أطرابلس فافتتحها بعد استغاثة أهلها بقبيل من البربر يقال لهم: «نفوسة»؛ إذ كانوا دخلوا معهم في دين النصرانية»[3].

وقال خليفة بن خياط في تاريخه في حوادث سنة سبع وعشرين: «وفيها عزل عثمان ابن عفان عمرو بن العاصي عن مصر وولاها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فغزا ابن

---

(1) كتاب الولاة والقضاة (ص9 ـ 10).

(2) نقله ابن حجر في الإصابة (3/ 80).

(3) البيان المغرب (1/ 8).

أبي سرح إفريقية ومعه العبادلة: عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير، فلقي جرجير، وجرجير في مائتي ألف بسُبَيْطلة على سبعين ميلا من القيروان، فقتل جرجير وسبوا وغنموا»[1].

وذكر الناصري هذه الأحداث مفصلة وفيها ذكر المزيد من أسماء الصحابة بينهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين رضي الله عنهم. وساروا مع ابن أبي سرح سنة ست وعشرين، قال: «ولقيهم عقبة بن نافع فيمن دخل معه من المسلمين ببرقة، ثم ساروا إلى طرابلس فنهبوا الروم عندها، ثم ساروا إلى إفريقية، وبثوا السرايا في كل ناحية، وكان ملكهم جرجير يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل، ويحمل إليه الخراج، فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفا من العساكر، ولقيهم على يوم وليلة من سُبَيطلة دار ملكهم... ولحقهم عبد الله بن الزبير مددا، بعثه عثمان لما أبطأت أخبارهم. وسمع جرجير بوصول المدد ففتّ في عضده». ثم ذكر استمرار القتال إلى الفتح، ثم قال: «ويقال: إنه لما فتح إفريقية أمر عثمان رضي الله عنه عبد الله بن نافع بن عبد القيس ـ كما عند الطبري ـ أن يسير إلى جهة الأندلس، فغزا تلك الجهة وعاد إلى أفريقية فأقام بها واليا من قبل عثمان، ورجع ابن أبي سرح إلى مصر»[2].

وقال ابن حجر في الإصابة: «وروى يعقوب بن سفيان من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة قال: قدم عقبة بن نافع على عثمان بفتح إفريقية بعثه عبد الله بن سعد بن أبي سرح»[3].

---

(1) تاريخ خليفة بن خياط (ص159).

(2) انظر البيان المغرب (2/ 4) والاستقصا (1/ 36 ـ 38).

(3) الإصابة: ترجمة عقبة (3/ 80).

وقال الإمام محمد بن علي السنوسي في كتاب «الدرة السنية في أخبار السلالة الإدريسية» في سياق حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح هذه: «وفي كتاب سيف لما وجه عثمان عبد الله بن سعد إلى إفريقية قال له: إن فتح الله عليك إفريقية فلك مما أفاء الله عليك خمس الخمس، فلما انتهى إلى إفريقية بمن معه لقيهم صاحبها فقاتلهم، فقتله عبد الله بن سعد، وفتح إفريقية سهلها وجبلها، واجتمعوا على الإسلام وحسنت طاعتهم». ثم ذكر أن عثمان رضي الله عنه لما بلغه فتح إفريقية كتب إلى عقبة بن نافع بن عبدالقيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين، وأمرهما بالسير إلى الأندلس فيمن ندب معهما من الرجال، وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب إفريقية، وبعد ذلك يسيران إلى الأندلس. قال: «فلما كان الاستيلاء على صاحب إفريقية سارا من فورهما إلى الأندلس، وأتياها من قبل البحر، وكان عثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد كتب إلى من انتدب إلى الأندلس: «أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن لم تفتحوها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر، والسلام»[1].

وتحدث الشيخ أبو زيد الدباغ في كتابه «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» عن ترتيب حملات الفتح ومن كان في قيادتها من الصحابة تحت عنوان «ذكر من نزل القيروان من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين» فقال: «أول جيش نزل القيروان من جيوش المسلمين جيش عبد الله بن أبي سرح القرشي العامري في خلافة سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه سنة سبع وعشرين، ثم جيش معاوية بن حديج السكوني، ثلاث مرات، وليَ ذلك سنة أربع وثلاثين في خلافة سيدنا عثمان أيضا، ثم عقبة بن عامر الجهني، ثم

(1) الدرة السنية (ص18 ـ 19).

رويفع بن ثابت الأنصاري سنة سبع وأربعين، ثم عقبة بن نافع الفهري أيضا سنة خمسين، وفيها اختط القيروان. وفي كلٍّ من هذه الجيوش تنزل طائفة من الصحابة بأرض القيروان»[1].

وفي كتاب «معلمة المغرب» في حديثه عن عقبة قال: «ولد على عهد رسول الله ﷺ، ويعتبر من رواد الفاتحين المسلمين ببلاد المغرب، وأول من دخل منهم المغرب الأقصى؛ إذ قدم برقة منذ حداثة سنه، ومنها شارك في عدة حملات عسكرية على إفريقية أبدى خلالها ضروبا من الإقدام الحربي والحماسة الدينية، وهي مزايا عبّر عنها بجلاء إبّان تعيينه من قبل عمرو بن العاص سنة 46هـ على رأس جيش لمتابعة فتح إفريقية، فقد اغتنم عقبة هذه المناسبة ليقود فرقة من الفرسان نحو الجنوب حيث فتح مجموعة من الواحات والقصور إلى أن وصل إلى شمال شرقي دولة النيجر اليوم. ولا شك أن خصال عقبة الشخصية لعبت لصالحه عندما عيّنه معاوية بن أبي سفيان والياً على إفريقية سنة 50هـ، وهي ولاية استغرقت خمس سنوات تفرّغ عقبة خلالها إلى متابعة القضاء على الوجود البزنطي بإفريقية، وإلى بناء القيروان لاتخاذها قاعدة عسكرية وسياسية، وسرعان ما أصبحت القيروان أول مدينة إسلامية ببلاد المغرب، ومركزا للإشعاع الديني والفكري بالمنطقة»[2].

وقال الحافظ أبو عمرو بن عبد البر في ترجمته لعقبة بن نافع في كتاب الاستيعاب: «هو عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري، ولد على عهد رسول الله ﷺ. لا تصح له صحبة، كان ابن خالة عمرو بن العاص. ولاه عمرو بن العاص إفريقية وهو على مصر، فانتهى إلى لواتة ومزاتة، فأطاعوا ثم كفروا، فغزاهم من سنته فقتل وسبى، وذلك

---

(1) معالم الإيمان (1/ 70 ـ 71).

(2) معلمة المغرب: مجلد (18/ 6102).

في سنة إحدى وأربعين، وافتتح في سنة اثنتين وأربعين غدامس فقتل وسبى، وافتتح في سنة ثلاث وأربعين كور السودان، وافتتح ودان، وهي من حيز برقة من بلاد إفريقية، وافتتح عامة بلاد البربر»[1].

قال خليفة بن خياط: «وفيها ـ أي سنة خمسين ـ وجه معاوية عقبة بن نافع إلى إفريقية فخط القيروان، وأقام بها ثلاث سنين». ثم ذكر أنه لما افتتح عقبة بن نافع إفريقية وقف على القيروان فقال: «يا أهل الوادي، إنا حالُّون ـ إن شاء الله ـ فاظعنوا»، ثلاث مرات.

قال: فما رأينا حجرا ولا شجرا إلا يخرج من تحته دابة، حتى يهبطن بطن الوادي، ثم قال: «انزلوا بسم الله».

قال ابن خياط «وفيها أغزى مسلمة بن مخلَّد ـ وهو أمير بمصر ـ معاوية بن حُديج فأصاب سبيا وقفل سالما..».

ثم ذكر أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كتب إلى مروان بن الحكم ـ وهو عامله على المدينة المنورة ـ أن ابعث عبد الملك بن مروان على بعث المدينة إلى بلاد المغرب، فقدم عبد الملك بن مروان ـ يعني بمن معه من أهل المدينة ـ فدخل مع معاوية بن حديج إفريقية..»[2].

وذكر ابن خلدون في تاريخه فتوح عقبة بن نافع فقال: «كان عمرو بن العاص قبل وفاته استعمل عقبة بن نافع بن عبد قيس على إفريقية ـ وهو ابن خالته ـ فانتهى إلى لواته ومزاته، فأطاعوا ثم كفروا، فغزاهم وقتل وسبى، ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين

(1) الاستيعاب بهامش الإصابة لابن حجر (3/ 109 ـ 110).
(2) تاريخ خليفة بن خياط (ص210 ـ 211).

غدامس، وفى السنة التي بعدها ودّان وكُوَراً من كُوَر السودان، وأثخن في تلك النواحي، وكان له فيها جهاد وفتوح، ثم ولاه معاوية على إفريقية سنة خمسين، وبعث إليه عشرة آلاف فارس، فدخل إفريقية وانضاف إليه مُسلِمَةُ البربر فكثر جمعه، ووضع السيف في أهل البلاد؛ لأنهم كانوا إذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا، فإذا رجعوا عنهم ارتدوا، فرأى أن يتخذ مدينة يعتصم بها العسكر من البربر، فاختط القيروان، وبنى بها المسجد الجامع، وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم....وكان يغزو ويبعث السرايا للإغارة والنهب، ودخل أكثر البربر في الإسلام، واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين». قال: «ثم ولى معاوية على مصر وإفريقية مسلمةَ بن مخلَّد الأنصاري، واستعمل على إفريقية مولاه أبا المهاجر، فأساء، عزل عقبة واستخفَّ به، فسيَّر ابنُ مخلَّد الانصاري عقبةَ إلى معاوية وشكا إليه، فاعتذر له (معاوية) ووعده برده إلى عمله، ثم ولاه يزيد سنة اثنين وستين»[1].

ذلك ملخص تاريخ الأحداث التي توالت فيها الولايات على إفريقية من مصر والمدينة ثم من الشام، وفي جميعها ـ ما عدا ولاية أبي المهاجر ـ كان الوالي على إفريقية من الصحابة المرموقين، وفي جميعها أيضا كان اشتراك الصحابة في الحملات كما أشارت إلى ذلك المصادر المتخصصة منوهة به.

فأما بلاد مصر باعتبارها المنطلق الأول لفتح إفريقية فقد دخلها مع الصحابة عند الفتح وبعده عدد كبير حتى ألف فيهم بعض علمائها كتابا «فيمن دخل مصر من الصحابة»، وهو الإمام محمد بن الربيع الجيزي صاحب الشافعي، واختصره وزاد

---

(1) تاريخ ابن خلدون (ص602 ـ 603).

عليه ما لم يذكره منهم الحافظ جلال الدين السيوطي، كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه المسمى «در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة»[1]، وقد كانت حملات الفتح نحو إفريقية تمر عليها فينضم إليها العديد من الصحابة إتماما لغايتهم من الخروج للجهاد وعمارة الثغور في البلاد المفتوحة وحراستها.

وكذلك الشأن في إفريقية فإن من دخلها من الصحابة في هذه الحملات وغيرها يفوت الحصر، وقد ألف فيهم العلامة أبو عبد الله بن محمد صالح الجودي(ت1295هـ) كتاب «در السحابة فيمن دخل إفريقية من الصحابة»[2]. وألف العلامة محمد أبو راس المعسكري الجزائري (ت1239هـ) كتابه المسمى أيضا «در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة»، ذكره له الكتاني في «فهرس الفهارس»[3].

ونهج هذا النهج غير واحد من المؤلفين من أهل المغرب، ومن آخرهم العلامة محمد ابن أحمد الكانوني العبدي الآسفي (ت1357هـ) في كتابه الذي ما يزال مخطوطا بعنوان «الكشف المُغرب عمن دخل من الصحابة المغرب»[4]، والعلامة محمد بن عبدالسلام السائح (ت1367هـ) وسمى كتابه «رقة الصبابة فيمن دخل المغرب من الصحابة»، وهو مخطوط أيضا.

(1) وقد أدرجه السيوطي في كتابه «الحاوي في الفتاوي» وكذا في كتابه «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة». وحققه مستقلا سليمان بن محمد المليص في رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة 1404هـ. وللكتاب نسخة خطية ضمن مخطوطات المكتبة الأزهرية.

(2) انظر تعليقات الباحث محمد العنابي بآخر تحقيقه لكتاب «تكميل الصلحاء والأعيان» لمحمد بن صالح الكناني القيرواني على «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» لأبي زيد بن الدباغ (ص299).

(3) فهرس الفهارس (1/ 150).

(4) ذكره له الشيخ عبد السلام بن سودة في كتاب «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» تحت رقم 2208 (ص327)، وقال: «استهله بقوله: الحمد لله رب العالمين، وفرغ منه سنة 1346هـ موافق 1927م، يقع في عدة كراريس».

وأمـا الإشارات في كتب التاريخ والتراجم إلى أعداد من صحب حملات الفتح مـن الصحابة فكثيرة، ومنها مـا ذكره أبو العرب في مقدمة «كتاب طبقات علمـاء إفريقية» بسنده عن ابن أبي المهاجر قال:«رأيت في كتاب أبي بكر السوسي أن عبـد الله بـن سـعد كان على مصر والخليفـة عثمــان، فخـــرج إلى إفريقـيـــة في جـيش أكثـرهم أصـحاب رسول الله ﷺ واستخلف على مصر عقبة بن عامر»[1].

وروى أيضا بسنده إلى سليمـان بن يسار أنه سـئل عـن النفـل في الغـزو، فقـال: لم أر أحدا يمنعه، غير أن معاوية بن حديج نفلنـا بإفريقيـة الثلـث بعـد الخمـس ومعنـا مـن أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ناس كثير»[2]. ثـم قـال: «وقـد ذكـر بعض المحدثين أن عقبة بن نافع لما دخلها كان معه خـمـسة وعـشرون مـن أصـحاب النبيﷺ، وقال سليمـان بن يسار في حديث ابن وهب: إن معاوية بن حديج كان معـه من المهاجرين الأولين ناس كثير»[3].

وذكر المـالكي في «رياض النفوس» أن معاوية بن حُــديج ـ وكـان مـن أصـحاب رسول الله ﷺ ـ خرج من مصر سنة خـمس وأربعين ومعه عبد الله بن عمر وابن الزبير وجـمـاعة من الصحابة وغيرهم من التابعين»[4].

وقال خليفة بن خياط في حوادث سنة 28هـ من تاريخـه:«وفيهـا غـزا معاويـة بـن أبي سفيان في البحر ومعه امرأته فاختة بنت قرظة من بنـي عبـد منـاف، ومعـه عبـادة بـن

---

(1) طبقات علمـاء إفريقية (ص15 ـ 18).

(2) نفسه (ص15).

(3) نفسه (ص17).

(4) رياض النفوس (1/ 28).

الصامت، ومعه امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية، فأتى قبرس، فتوفيت أم حرام فقبرها هناك»[1].

وفيه من الإشارات أن الصحابة كانوا يصحبون معهم النساء، وفيهن صحابيات كأم حرام بنت ملحان، وهي أخت أم سليم الرميصاء الأنصارية زوج أبي طلحة الأنصاري وأم أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.

وذكر أبو العرب والمالكي في ترجمة عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه غزا إفريقية مرتين: الأولى مع عبد الله بن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حُديج، قالا: وكان معه في الغزوة أم ولد فولدت له صبيةً بإفريقية ثم توفيت فدفنها بالمقبرة التي تعرف الآن بـمقبرة قريش» بباب سلم، فاتخذتها قريش مقبرة يدفنون فيها لمكان تلك الصبية[2].

وقبل أن نتابع مع عقبة رضي الله عنه مساره في الفتح حتى استشهاده فيمن استشهد معه من أصحابه، نسوق فيما يلي قائمة بأسماء من عرفت أسماؤهم من أعيان من دخل إفريقية والمغرب والأندلس من الصحابة في عهد الفتوحات.

---

(1) تاريخ خليفة بن خياط (ص160).

(2) طبقات علماء إفريقية (ص18)، ورياض النفوس (1/ 62).

المبحث الثالث: قائمة بأسماء أعيان من دخل إفريقية والمغرب والأندلس من الصحابة.

لا نملك إحصاء وافيا لأسماء من شاركوا في فتح إفريقية والمغرب والأندلس بجميع مراحله التي استغرقت أزيد من ستين سنة؛ إذ لا توجد وثائق تسجيل مثلا عن ديوان الجند أو الإمارة، وإنما وصلتنا اجتهادات في الجمع قائمة على استقراء غير تام لما ورد في الأخبار والآثار، ولذلك نجد المصادر القديمة متفاوتة في قوائم الأعداد مع اتفاقها في عناوين الفصول المعقودة لذلك في أوائلها. ولعلنا لو أتيح لنا الوقوف على الكتاب الذي أفرده للموضوع الشيخ أبو عبد الله محمد بن صالح الجودي التونسي(ت1295هـ) المسمى «در السحابة فيمن دخل إفريقية من الصحابة» لأمكننا ـ كما يبدو ـ الحصول على أطول لائحة ممكنة وأوعبها بحكم تأخر زمان المؤلف مما يؤهله للاستفادة من المصادر الكثيرة التي تقدمته، وإفراده لهذا الموضوع بالتأليف، ولكونه نشأ في المنطقة نفسها التي تتعلق بها هذه الأحداث. وكذلك الحال لو أتيح لنا الوقوف على ما تضمنه كتاب الكانوني العبدي ـ الآنف الذكر ـ المسمى «الكشف المعرب عمن دخل من الصحابة المغرب»، فإنه أيضا حري أن يكون وافيا موعبا لتأخر وفاته إلى سنة1357هـ. ولعل من يتاح له الجمع بين كتابي الجودي والناصري يحصل على أوفى قائمة بذلك وأوثقها.

وفي غيبة ذلك كله عنا لا نجد مناصا من العودة إلى طائفة من المصنفات التاريخية التي عقدت فصولا لذكرهم في أوائلها مع ملاحظة ما ذكرناه من تفاوتها، فقد ذكر أبو العرب منهم زهاء عشرين صحابيا[1]، وذكر المالكي في «رياض النفوس» أسماء

---

(1) طبقات علماء إفريقية (ص16 ـ 18).

تسعة وعشرين ختمها بذكر عقبة بن نافع[1]، وذكر أبو زيد الدباغ في «معالم الإيمان» مع تكملته لابن ناجي التنوخي أسماء اثنين وأربعين[2]، وفي المغرب ذكر العلامة الناصري في الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى واحدا وأربعين[3].

ومن النظر في هذه القوائم الأربعة نجد قائمتي الدباغ في المعالم الأوفى عددا، وتليها قائمة الناصري في الاستقصا، كما يتجلى أن الناصري ـ وهو المتأخر كثيرا عن عصر الدباغ ـ لم يستفد من كتابه في استدراك ما فاته. وقد قام الباحث التونسي محمد العنابي في تعليقاته التي ألحقها بتحقيقه لكتاب «تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان» للعلامة محمد صالح عيسى الكناني القيرواني (ت1292هـ) بتجريد قائمة للمقارنة بين قائمة الدباغ في المعالم وذيله لابن ناجي وبين قائمة الناصري، فلاحظ أنهما يتفقان على سبعة وعشرين، وينفرد صاحب المعالم بسبعة عشر، وينفرد السلاوي ـ يعني الناصري ـ بثلاثة عشر. وهذه لائحة بأسمائهم:

1) لائحة من دخل إفريقية والمغرب من الصحابة ممن اتفق عليهم الدباغ والناصري في كتابيهما:

1. المقداد بن الأسود الكندي.
2. جَرهد بن خويلد الأسلمي.
3. المسيب بن حزن المخزومي.
4. عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

---

(1) رياض النفوس (1/ 60 ـ 98).
(2) معالم الإيمان (1/ 71 ـ 179).
(3) الاستقصا (1/ 85 ـ 90).

5. عبد الله بن عمر بن الخطاب.
6. سلمة بن الأكوع الأسلمي.
7. أبو زمعة البلوي.
8. عبد الله بن الزبير بن العوام.
9. عبد الله بن عمرو بن العاص.
10. رويفع بن ثابت الأنصاري.
11. حمزة بن عمرو الأسلمي.
12. عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.
13. المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري.
14. جبلة بن عمرو الأنصاري الساعدي.
15. عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي الأمير.
16. معاوية بن حديج الكندي الأمير.
17. المطلب بن أبي وداعة السهمي القرشي.
18. ربيعة بن عباد الدؤلي.
19. عاصم بن عمر بن الخطاب.
20. عقبة بن نافع الفهري.
21. عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.
22. عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب.

23. مروان بن الحكم بن العاص.

24. أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي الشاعر.

25. معبد بن العباس بن عبد المطلب.

26. عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

2) **لائحة من انفرد بذكرهم صاحب المعالم:**

27. أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري.

28. عبد الله بن أنيس الجهني

29. فُضالة بن عبيد الأنصاري

30. أبو ذر الغفاري

31. عمرو وقيل: عثمـان بن عوف

32. عقبة بن عامر الجهني

33. بلال بن الحارث المُزني

34. زياد بن الحارث الصدائي

35. أبيض بن حـمـال السبائي المـاربي

36. عمـار بن ياسر أبو اليقظان

37. بسر بن أرطأة وقيل: ابن أبي أرطأة القرشي

38. عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث القرشي

39. عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب

40.عبد الرحمن بن صبيحة الليثي وقيل: التميمي

41.أبو منصور الفارسي والد يزيد بن أبي منصور

42.أبو سعيد كيسان المغيري مولى بني حارثة.

3) لائحة من انفرد بذكرهم صاحب الاستقصا

43.الحسن بن علي بن أبي طالب

44. الحسين بن علي بن أبي طالب.

45.الحارث بن حبيب بن خزيمة القرشي

46.حبان بن أبي حبلة القرشي

47.خالد بن ثابت العجلاني الفهمي

48.زهير بن قيس البلوي الأمير

49.سلكان بن مـالك

50.عبد الله بن نافع بن الحصين

51. مسعود بن الأسود البلوي وقيل: العدوي

52.المنيذر الإفريقي الأسلمي

53.أبو رمثة البلوي

54.أبو قيس وقيل: أبو ضبيس البلوي

55.أبو المبتذل خلف أو المبذل أو المنذر

وقد فات كلا من الدباغ والناصري ممن دخل إفريقية من الصحابة صحابيان:

56. قيس بن يسار بن مسلم الكناني، وهو مذكور في رياض النفوس. قال المالكي: «قال أبو سعيد بن يونس وغيره: يقال إنه صحب رسول الله ﷺ وقاتل معه، وقاتل أيام الردة. دخل إفريقية غازيا مع عقبة بن نافع، وقيل: إنه دخلها قبل ذلك سنة سبع وعشرين مع عبد الله بن سعد، وهو جد أبي محرز القاضي». وقال في ترجمة أبي محرز محمد بن عبد الله بن قيس بن يسار بن مسلم الكناني القاضي، من المعدودين من أصحاب مالك.. ويقال: إن جده قيسا صحب النبي ﷺ[1].

57. عفان بن وهب أبو أيمن الخولاني المصري، قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: «له صحبة ورواية، وغزا المغرب»[2].

هذه الأسماء السبعة والخمسون هي التي تمكنا من الوقوف على ذكرها في هذه الكتب، ولا شك أنها لم تستوعب وإنما اقتصرت في أكثرها على الأعيان المشهورين، وأخبار الفتوحات تدل على أكثر من هذا العدد بكثير، يدل على ذلك ما ذكره أبو العرب وغيره من أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح «خرج إلى إفريقية في عشرين ألفا، وأنه خرج إليها في جيش أكثرهم أصحاب رسول الله ﷺ»[3].

وهؤلاء المذكورون في هذه القائمة وغيرهم كثير ممن لم يذكر فيها، منهم من شهد الفتوح الأولى فدخل ثم عاد إلى مصر أو المدينة أو الشام أو غيرها، ومنهم من خرج ثم عاد أكثر من مرة، كعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، ومنهم من استوطن إفريقية، ومنهم من أدرك فتح عقبة لباقي جهات إفريقية، ومنهم من دخل معه المغرب

---

(1) رياض النفوس (1/ 96) ترجمة 27، وكذا (1/ 274 ـ 277) ترجمة 105.
(2) البداية والنهاية (9/ 44).
(3) طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ص14 ـ 15).

فاستشهد في أثناء الفتح أو رجع فاستشهد معه كما سيأتي، ومنهم من رجع إلى القيروان، ثم خرج مع زهير بن قيس في حملته بعد استشهاد عقبة وأصحابه، ومنهم من عاش حتى شارك في فتح الأندلس مع حملة موسى بن نصير.

وقبل أن نتابع مع عقبة الأطوار الأخيرة من قيادته في الفتح لإنجاز مشروعه الكبير الرامي إلى فتح المغرب والأندلس والاستيلاء على سائر ممالك الروم في الغرب الإسلامي، لا بد لنا هنا من وقفة حول ما يثار من الخلاف في صحبة عقبة بن نافع، وما يبدو من تباين وجهات النظر فيها بين المؤرخين والمحدثين. ونعقد لذلك:

المبحث الرابع: صحبة عقبة بين المؤرخين والمحدثين

موضوع إثبات منصب الصحبة النبوية أو نفيه موضوع في غاية الحساسية والأهمية؛ لما له من الصلة المباشرة بقبول رواية من ثبتت صحبته مطلقا بحكم اتفاق مذهب أهل السنة والجماعة على عدالة الصحابة، ووجوب اعتقاد حُرمتهم والثناء عليهم والترضي عليهم، والإمساك عما شجر بينهم، وغير ذلك من مقتضيات الولاية لهم لصحبتهم لرسول الله ﷺ ووصيته بهم، ومكانتهم من الدين، والتبليغ عن إمام المرسلين. كما أن نفيها عمن ثبتت له بوجه من وجوه الثبوت المعتبرة، فيه نوع من المخاطرة غير المحمودة؛ لما فيه من الإقدام على دفع استحقاق منصب الصحبة عمن استحقها.

ولقد فطن لهذا الملحظ عدد من المؤلفين في الصحابة حين درسوا مفهوم الصحبة وحد «الصحابي»، وفرقوا بين المعنى اللغوي والمعنى العرفي والاصطلاحي، وهو بحث نفيس أفاض فيه الإمام ابن حجر في شرحه للترجمة التي بوّب لها البخاري في صحيحه بقوله: «باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي ﷺ أو رآه فهو من أصحابه»[1]. كما أفاض فيه ابن حجر في كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة».

وعلى أساس التفاوت في مراتب الصحبة التي اعتبرها المحدثون على اختلاف منازعهم في ذلك، صنف المؤلفون في الصحابة كأبي عمر بن عبد البر في كتاب «الاستيعاب» وابن الأثير في «أسد الغابة» وابن حجر في «الإصابة»، صنفوا الصحابة إلى عدة أصناف بين من هو محقق الصحبة والرواية والسابقة في الإسلام، ومن هو دونه، ومن حضر بعض المشاهد، أو كان له أدنى رتبة من اللقاء أو الرواية أو الدعاء له أو غير

(1) انظر صحيح البخاري بشرح ابن حجر فتح الباري (7/ 3 ـ 4).

ذلك مما جعلوه في أدنى درجات الاستحقاق. وبناء على هذه الاعتبارات اختلفوا في العد والإسقاط، بالإضافة إلى التفاوت في الاستقراء، كما نلاحظه في الذيول الكثيرة التي استدركت على الحافظ أبي عمر بن عبد البر، والاستدراكات التي استدركها الحافظ الذهبي في كتاب «تجريد الصحابة»، وما استدركه الحافظ ابن حجر في كتبه أو استدرك عليه. هذا ولم تخل المعايير التي اعتمدها المؤلفون في الصحابة من هؤلاء الأئمة من قدر من المرونة في التعامل مع منهج المحدثين إثباتا ونفيا، ولعل المؤرخين والمؤلفين في الكرامات وجدوا في هذه المرونة مدخلا إلى اعتماد منهج مغاير يساعد على توسيع دائرة القول بالصحبة في حق بعض المترجمين ممن تنازعتهم الأقوال، وقوي فيهم الاحتمال، ومنهم عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري المتفق على أنه الفاتح الأكبر للمغرب الأقصى دون منازع، مضموما ذلك إلى جملة من المرجحات الآتية، وأكثرها تداولا في كتب التاريخ ولادته في العهد النبوي، وقيادته لحملات الفتح وفيها الجم الغفير من أعيان الصحابة.

وذلك ما غلَب اعتباره عند سائر من عدّ عقبة من الصحابة، فإن أحدا لم يذكر له رواية عن النبي ﷺ، ولا رؤية ولا لقاء ولا شيئا زائدا على ولادته في حياته صلى الله عليه وسلم، وقد أورد ابن عذاري المراكشي في البيان المغرب في ترجمته لعقبة تحديدا لتاريخ ولادته فقال بعد ذكر سلسلة نسبه في قريش إلى فهر: «ومن فهر بن مالك تفرقت القبائل، وقال ابن أبي الفياض: إن عقبة ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنة واحدة»[1].

وترجم الحافظ ابن كثير لعقبة بن نافع في كتاب البداية والنهاية ولم يذكر شيئا عن صحبته إثباتا أو نفيا، إلا أنه قال ﷺ : «عند ذكر اسمه، كما ذكر دعاءه عندما اختط

---

(1) البيان المغرب (1/ 19).

مدينة القيروان قال: «فجعلت السباع والحيات والحشرات تخرج بأولادها من الغيضة التي كانت في موضعها ولم تر فيها بعد ذلك»[1].

وترجم له المالكي في «رياض النفوس» تحت عنوان: «ذكر من دخل إفريقية من أصحاب النبي ﷺ» فقال: «عقبة بن نافع بن عبد القيس رضي الله تعالى عنه: ذكر أبو سعيد وغيره أنه معدود من جملة الصحابة الذين دخلوا إفريقية، ولي الإمارة على إفريقية وبلد المغرب لمعاوية ولولده يزيد، وهو الذي اختط مدينة قيروان إفريقية، وبنى دار الإمارة التي في قبلي الجامع»[2].

وذكر المالكي قصة تأسيسه لمدينة القيروان مفصلة، وفيها قوله لأصحابه: «أرى لكم يامعشر العرب أن تتخذوا بها مدينة يجعل بها عسكر، وتكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر، فأجاب الناس إلى ذلك، واختط مدينة القيروان... وكان في عسكره عند التأسيس خمسة عشر رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، وسائر ذلك تابعون»[3].

وساق في الترجمة عددا من كرامات عقبة، مما يدل على صدق يقينه في الجهاد، ويعرب عن تحقق صحبته عند الناس، حتى كان يعرف بينهم باسم «عقبة المستجاب». وسيأتي لنا تسمية بعض الناس لأولادهم باسم «عقبة المستجاب» تبركا باسمه.

وعلى مثل هذا بنى العلامة الناصري في قوله في ترجمته له في الاستقصاء: «صحابي بالمولد، وهو آخر من ولي المغرب من الصحابة»[4].

وهذه غفلة منه ـ رحمه الله ـ عن الوالي بعد عقبة زهير بن قيس البلوي، وقد عده هو بنفسه في قائمته «فيمن دخل المغرب من الصحابة»، وتحدث عن ولايته بعده.

---

(1) البداية والنهاية (8/ 217).
(2) رياض النفوس (1/ 97).
(3) نفسه (1/ 10 ـ 13).
(4) الاستقصا (1/ 77).

أمـا مؤلف كتاب مفاخر البربر من مؤرخي العصر المريني فاكتفى بالتنويـه بـصحبته عند ذكر من فتح المغرب فقال: «أولهم عقبة بن نافع الصحابي رضي الله عنه»[1].

وكذلك فعل أبو زيد الدباغ القـيرواني الـذي تـرجم لـه «فـيمن دخـل إفريقيـة مـن الصحابة» كمـا تقدم، وأفاض في ذكر أخباره وكرامـاته في كتابه معالم الإيمـان[2].

ونحن إذا وازنا بين مـا ورد من النقول في تقرير صـحبته وبـين أقـوال مـن ينفيهـا أو تشعر عبارته بالتردد في قبولها كقول بعضهم: «لا تصح له صحبة»، أو «لا صحبة لـه»، أو «هو من التابعين» في ضوء المعايير التي اعتمدها العلمـاء في إثبات الصحبة بمـا فيها مـمـا يمكن أن نسميه «الصحبة الاعتبارية»، أي باعتبار الإدراك أو الميلاد، نقـف عـلى عدة مداخل يمكن لعقبة بن نافع أن يدلف منها إلى الصحبة من باب واسع، ولا تقصر بـه عنهـا بحـال مـن الأحـوال، لا سيمـا إذا صـح مـا نجـده في كثـير مـن المراجـع والتعليقات، كتعليق مـحقق كتاب «التشوف إلى رجال التـصوف» في إحـدى حـواشي تحقيقه للكتاب حيث قال موافقا لما في تلك المراجع: «ولد عقبـة سـنة 1 قبـل الهجـرة، وتوفي سنة 63هـ»[3].

ويبقى الجواب عن قول من قال: «لا تـصح لـه صـحبة» كالحـافظ ابـن عبـد الـبر في الاستيعاب[4]، وكالعلامـة ابـن الأثـير في أسـد الغابـة[5]، وكـأبي العـرب التميمـي في طبقاته[6]، وهي أقوال تعتمد منهج المحدثين بناء على أنهـم لا يعرفـون لعقبـة روايـة في

(1) مفاخر البربر (ص91).
(2) معالم الإيمـان (1/ 71 ـ 179).
(3) التشوف إلى رجال التصوف لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات (ص52)، رقـم الهامش 35.
(4) الاستيعاب بهامش الإصابة لابن حجر (3/ 106).
(5) أسد الغابة (2/ 34).
(6) طبقات علمـاء إفريقية (ص 9).

كتب السنة، ولعل قول أبي عمر بن عبد البر:«لا تصح له صحبة»، وكذلك قول من تابعه على ذلك لا يخلو من نوع من الاحتياط؛ إذ ليس نفيا صريحا وجازما، ولعله لذلك ترجم في الاستيعاب لعقبة وأدرجه في جملة من وُلد على عهده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونبه على ذلك في صدر الكتاب بقوله:«ولم أقتصر في هذا الكتاب على ذكر من صحت صحبته ومجالسته، حتى ذكرت من لقي النبي ﷺ ولو لقية واحدة مؤمنا به أو رآه رؤية أو سمع منه لفظة فأداها عنه، واتصل ذلك بنا على حسب روايتنا، وكذلك ذكرنا من ولد على عهده من أبوين مسلمين، فدعا له أو نظر إليه وبارك عليه ونحو هذا، ومن كان مؤمنا به قد أدى الصدقة إليه ولم يرد عليه، وهذا كله يستكمل القرن الذي أشار إليه النبيﷺ»[1].

وأما من لم يتعرض لذكر صحبته بإثبات ولا نفي كالحافظ ابن حجر الذي اكتفى بقوله في ترجمته في «الإصابة»: «ولد على عهد رسول الله ﷺ»[2]، فإنه يلزمه ذكره ولو بأدنى مراتب «الصحبة الاعتبارية»، بناء على ما أصله هو بنفسه وعمل به في كتاب الإصابة. وبيان ذلك بإيجاز أنه بعد أن قرر في الإصابة أصوله بناء على ما سماه «الطريقة إلى معرفة كون الشخص صحابيا» وفصَّلها، قال تحت عنوان: «ضابط» يستفاد من معرفته صحبة جمع كثير يكتفى فيهم بوصف يتضمن أنهم صحابة:

> الأول: ما أخرجه ابن أبي شيبة بسند لا بأس به قال: كانوا لا يؤمرون في المغازي إلا الصحابة.

> الثاني: أخرج الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي ﷺ فدعا له، وهذا يؤخذ منه شيء كثير.

---

(1) الاستيعاب بهامش الإصابة (1/ 27).
(2) الإصابة (3/ 80).

> الثالث: أخرج الحافظ ابن عبد البر بسنده قال: لم يبق بمكة والطائف أحد إلا أسلم وشهد حجة الوداع. قال: هذا وهم في نفس الأمر لا يحصون، لكن يعرف الواحد منهم بوجود ما يقتضي أنه كان في ذلك الوقت موجودا، فيلحق بالقسم الأول والثاني؛ لحصول رؤيتهم للنبي ﷺ وإن لم يرهم هو، والله أعلم»[1].

ولا يخفى على المتدبر لهذه العناصر الثلاثة التي جعلها ابن حجر ضابطا تستفاد منه معرفة الصحبة يجد أن عقبة رضي الله عنه ضارب فيها جميعا بالسهم الوافر مما لا نحتاج معه إلى مزيد من البيان.

وهاهو الحافظ ابن حجر نفسه أخذاً منه بالعنصر الأول في معرفة الصحابي يقول في تراجم عديدة: إنه حكم لأصحابها بالصحبة اعتمادا على أنهم «كانوا لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة»[2]، من ذلك قوله في ترجمة خالد بن ثابت العجلاني الفهمي: «قال ابن يونس: شهد فتح مصر، وأغزاه مسلمة بن مخلَّد إفريقية سنة أربع وخمسين. ذكرته اعتمادا على أنهم «كانوا لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة»[3]. وقال في ترجمة ربعي بن الأفكل العنبري: «ذكر سيف في الفتوح أن سعداً ولاه حرب الموصل، وقد ذكرنا غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة»[4].

وفي مثل عقبة قالوا في عبيد الله بن عمر بن الخطاب:«وكان صحابيا بالمولد». وقالوا مثل ذلك في أخيه عاصم بن عمر[5].

---

(1) الإصابة (1/ 9 ـ 10).
(2) تتبعت ذلك في زهاء خمسين ترجمة من الإصابة.
(3) الإصابة (1/ 401 ـ 402) ونقله الناصري في الاستقصا (1/ 86).
(4) الإصابة (1/ 490).
(5) الاستقصا (1/ 87).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية في ترجمة أبي معرض الأسدي الكوفي:«ولد في حياة النبي ﷺ»[1].

وفي ترجمة عبيد الله بن عدي بن الخيار: «أدرك النبي ﷺ، وحدث عن جماعة من الصحابة»[2].

وقالوا مثل هذا في تراجم كثيرة لولا أن للإدراك فيها معنى «الصحبة الاعتبارية» ما نبهوا عليه، ولفاتت هذه الفضيلة التي لا ينبغي صرفها عن هؤلاء المترجمين.

ولعلنا بناء على هذا وموافقة للمؤرخين لا حرج علينا في القول بصحبة عقبة بن نافع مع من وصفه بها، منطلقين من ضوابط الإمام ابن حجر وصنيعه وصنيع ابن عبد البر وابن الأثير وابن كثير في الأخذ بأدنى سبب في نسبة المترجم إلى هذا المنصب وعدم دفعه عنه طالما وقفوا على وجه من وجوه قبوله داخلا في الاحتمال، لا سيما على طريقة الحافظ ابن عبد البر التي تدخل في الاعتبار كل من ولد في عهده عليه السلام من أبوين مسلمين اعتبارا بأن ذلك محتمل أن يكون قد صحبه بوجه من وجوه الصحبة التي تقدمت الإشارة إليها.

أما الآن وبعد أن تقررت عندنا صحبة عقبة، وتعرفنا على لائحة أعيان الصحابة الذين دخلوا إفريقية في مراحل الفتح المختلفة، وعرفنا أن معهم الكثير من الصحابة الذين شاركوا في الفتح دون أن يكون لهم من الشهرة ما ينبه على أقدارهم مع ما دلت عليه النقول الآنفة الذكر أنهم كانوا في بعض الحملات بالمئات، وفي بعضها بالعشرات، ولكل ذلك اعتبار في الوقائع التي انتهت إلى عشرة الخمسين من الهجرة إلى انتشار الإسلام في أرجاء إفريقية وأجزاء من المغرب.

---

(1) البداية والنهاية (9/ 6).
(2) نفسه (9/ 51).

هاهو عقبة صاحب المشروع الكبير في فتح المغرب بمفهومه الواسع ينطلق أخيرا في ولاية يزيد بن معاوية بعد أن عقد له على ولاية إفريقية مرة أخرى سنة 62هـ، ليأخذ بوجهته هذه المرة موليا شطر ما تبقى على الفتح من جهات وأرجاء المغرب الأقصى والعبور إلى جهة الأندلس لو ساعدت الأحوال.

المبحث الخامس: عقبة ووقـائـع فتح المغرب الأقصى ومنتهى أثره في الفتح

وكان خروج عقبة بن نافع من القيروان، وهو أول وال عليها ليزيد بن معاوية بالشام سنة62هـ. قال أبو إسحاق الرقيق في تاريخه والمـالكي في رياض النفوس: «ثم عزم عقبة على الغزو في سبيل الله، وترك بها جندا من المسلمين، واستخلف عليهم زهير بن قيس، ودعا أولاده فقال لهم: إني بعت نفسي من الله عز وجل بيعا مربحا أن أجاهد مـن كفـر حتى ألحق بالله، ولست أدري أترونني بعد هـذا أو أراكم؛ لأن أملي المـوت في سبـيل الله، أو ردي إليكم كمـا أحـب؟ ثم قـال: عـليكم سلام الله، اللهم تـقـبل منـي نفـسي في رضاك». وقال المـالكي: «إن عقبة قال لأولاده في وصيته: إني بعـت نفـسي مـن الله، ومـا أدري مـا يأتي علي في سفري. ثم قال: يابني أوصيكم بثلاث خـصال فاحفظوهـا ولا تضيعوها، إياكم أن تـملأوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن، فـإن القـرآن دليـل على الله عز وجل، وخذوا من كلام العرب مـا يهتدي به اللبيـب ويـدلكم عـلى مكـارم الأخلاق، ثم انتهوا عمـا وراءه..»[1].

ومضى عقبة في عسكر عظيم حتى أشرف على مدينة باغاية فحاصر الروم فيها، ومنها مضى إلى مَـمْس، وكانت في ذلك الوقت من أعظم مـدائن الـروم، فقاتـل الـروم فيهـا وأصاب غنائم كثيرة، ثم رحل عنها إلى الزاب فاحتل أذنة، ثم رحل عنها حتى نزل على تيهرت، فلمـا بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر، فأعانوهم ونصروهم، فقام عقبة خطيبا في جنده فقال: «يامعشر المسلمين، إن خياركم وأشرافكم والسابقين منكم الذين رضي الله تعالى عنهم وأنزل فيهم كتابه، بايعوا رسول الله ﷺ بـيعة الرضوان عـلى قتـال مـن كفر بالله إلى يوم القيامة، وهم أشرافكم والسابقون منكم إلى البيعة، باعـوا أنفسهم مـن

(1) رياض النفوس (1/ 34 ـ 35).

رب العالمين بجنته بيعة رابحة، وأنتم اليوم في دار غربة، فبيعوا أنفسكم من رب العالمين، فإنكم داخلون في تلك البيعة، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، وأنتم ما وطئتم هذه البلاد إلا طلبا لرضاه، وغضبا أن يعبد شيء سواه، فأبشروا، فكلما كثر العدو كان أخزى لهم، وأعز لدينكم، وربكم ليس يسلمكم، فالقوهم بقلوب صادقة، فإن الله عز وجل جعلكم أولي بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين».

فقاتل البربر ومن معهم من الروم قتالا شديدا، فانهزم الروم وغنم المسلمون، وقتلوا من أدركوهم قتلا ذريعا. قال محمد بن علي السنوسي في الدرر السنية: «فرحل عنهم ونزل تلمسان، وهي من أعظم مدائنهم»[1].

ثم رحل حتى نزل طنجة الغربية، فلقيه رجل من الروم يقال له «يليان»، وكان شريفا في قومه فأهدى إليه هدية حسنة ولاطفه، فنزل على حكمه، فسأله عن بحر الأندلس، فقال: «إنه محفوظ لا يرام، فقال له: دلني على حال البربر والروم، فقال له: قد تركت الروم خلفك، وما قدامك إلا البربر وفرسانهم، قال له: وأين موضعهم؟ قال: في السوس الأدنى».

قال الرقيق: «فرحل من طنجة يريد السوس الأدنى، وهو في مغرب مدينة طنجة». ثم ذكر رحيله إلى السوس ودخوله تارودانت وقال: «فانتهى إلى أوائلهم فتلقوه في عدة عظيمة»، قال: «ومضى كذلك حتى دخل السوس الأقصى، واجتمع البربر في عدد لا يحصى، فلقيهم وقاتلهم قتالا شديدا ما سمع أهل المغرب بمثله، فقتل منهم خلقا عظيما»[2].

---

(1) الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية للسنوسي (ص26).

(2) عن تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق (ص7ـ 15) باختصار يسير، مع تكميل من رياض النفوس للمالكي (1/ 35 ـ 38)، وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير (4/ 106).

وقد ساق ابن عذاري هذه الأحداث بعبارات مقاربة غير أنه قال: «وأوغل في الغرب يقتل ويأسر أمة بعد أمة وطائفة بعد طائفة، بائعا نفسه من مولاه، لا يروعه كثرة ولا تعتريه هو ومن معه سآمة ولا فتْرة، حتى صاروا بأحواز طنجة، وكان بها ملك اسمه يليان يملك منها إلى ساحل المجاز بسبتة، وكان من أشرف ملوك الروم وأعظمهم»، ثم ذكر اجتماعه به ومهاداته إياه وسؤاله عن الأندلس، قال:«فعظَّم عليه أمرها وقال له: تركت الروم وراء ظهرك، وما أمامك إلا البربر...» قال: «ومعظمهم المصامدة»، قال:«فسار عقبة نحو المصامدة بعد فتحه طنجة، على ما ذكرنا من الصلح والمسالمة بسياسة يليان».

وذكر ابن عذاري غزوه للبربر بالسوس الأدنى قال:«وهي بلاد تامسنا إلى بلاد المصامدة، فسار حتى بلغ البحر المحيط، فدخل فيه حتى بلغ الماء بطن فرسه، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: «يارب لولا أن البحر منعني لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين مدافعا عن دينك، مقاتلا من كفر بك». قال: «وانصرف قافلا من السوس الأقصى، قال ذلك ابن أبي الفياض وغيره». ثم قال: «وقال غيره: ونزل من درعة إلى بلاد صنهاجة، ثم إلى بلاد هسكورة، ثم نزل أغمات وريكة، ثم نزل منها على وادي نفيس، وقام عقبة من وادي نفيس، وسار حتى نزل إيجلي بالسوس، وبنى فيه مسجدا. أخبرني الشيخ الصالح أبو علي صالح بن أبي صالح أنه لم يصح عنده أن عقبة ﷺ حضر بنيان شيء من المساجد بالمغرب إلا مسجد القيروان، ومسجد درعة، ومسجدا بالسوس الأقصى، وأما غير ذلك من المساجد التي تسمى باسمه فإن الناس ـ والله أعلم ـ بنوها بموضع نزوله». قال: «وقال الإشبيلي في كتاب «المسالك» له: إن المسجد الذي على وادي نفيس بناه عقبة ﷺ . قال أبو علي ـ يعني صالح بن أبي صالح ـ: ثم سار عقبة من إيجلي حتى وصل ماسة، فأدخل فرسه في البحر حتى وصل الماء تلابيبه

وقال: السلام عليكم يا أولياء الله، فقال له أصحابه: على من تسلم؟ قال: على قوم يونس عليه السلام». ثم قال عن عودته: «ثم رجع عقبة قافلا إلى المغرب الأوسط وسلك على إيغير إن يطوف ثم إلى تارنا، ثم إلى موضع شاكر ـ يعني قرب شيشاوة ـ وترك به صاحبه شاكرا فسمي باسمه، ثم رحل منه إلى بلاد دكالة، فوجد فيها قوما فدعاهم إلى الإسلام فامتنعوا، فقاتلهم فقتلوا جملة من أصحابه، فسمي ذلك الموضع «مقبرة الشهداء» إلى الآن». قال: «ثم رجع من دكالة إلى بلاد هسكورة إلى موضع يقال له: «إطار»، فوجد فيه أقواما فدعاهم إلى الإسلام فامتنعوا، فتقاتل معهم حتى فروا أمامه، فلم يقاتله بعد ذلك أحد من أهل المغرب». ثم قال: «قال ابن عبد البر: فتح عقبة عامة بلاد البربر إلى أن بلغ طنجة وجال هناك، ولا يقاتله ولا يعارضه أحد، حتى فتح كورة من كور السودان».

وقال ابن أبي زرع في كتاب «روض القرطاس» عند حديثه عن صنهاجة الصحراء ومساكنهم منها: «ومدينة «تاتكلاتين» يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون بـ «بني وارث»، وهم قوم صالحون على السنة والجماعة، وأسلموا على يد عقبة بن نافع عند فتحه للمغرب»[1].

وقال ابن عذاري في تمام كلامه السابق: «وقال أبو علي المذكور ـ يعني صالح بن أبي صالح ـ لما رجع عقبة من بلاد جزولة سلك على بلاد صودة»[2].

وذكر البكري في مسالكه مدينة نفيس فقال: «نفيس: مدينة حصينة أولية افتتحها عقبة ابن نافع، وذكر أنها كانت عامرة في زمنه»[3].

---

(1) روض القرطاس (ص121).

(2) انظر البيان المغرب (1/ 23 ـ 28) بتصرف.

(3) انظر الاستقصا للناصري (1/ 169).

وتحدث الناصري في الاستقصا عن خط السير لعقبة مستعينا بما في تاريخ ابن خلدون، مضيفا معلومات أخرى عن البلدان التي فتحها، وملخص ذلك أنه حين صرفه يليان بمشورته له عن غزو الأندلس إلى جهة السوس وبلاد البربر: «توجه عقبة نحوهم، فنزل على مدينة وليلي بإزاء جبل زرهون، وهي يومئذ من أكبر مدن المغرب فيما بين النهرين العظيمين: سبو وورغة»، قال:«وهذه المدينة هي المسماة اليوم في لسان العامة بقصر فرعون، فافتتحها عقبة وغنم وسبى، ثم توجه إلى بلاد درعة والسوس، فلقيته جموع البربر، فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم انهزمت البربر بعد حروب صعبة، وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا، وتبعوا آثارهم إلى صحراء لمتونة لا يلقاهم أحد إلا هزموه». قال: «ثم عطف عقبة على ساحل البحر المحيط الغربي، فانتهى إلى بلاد آسفي، وأدخل قوائم فرسه في البحر، ووقف ساعة ثم قال لأصحابه: «ارفعوا أيديكم»، ففعلوا، فقال: اللهم إني لم أخرج بطرا ولا أشرا، وإنك لتعلم أني إنما أطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين، وهو أن تعبد ولا يشرك بك شيء...»، قال: «ثم انصرف راجعا». قال:«وقال ابن خلدون أيضا: وصل عقبة إلى جبال درن، وقاتل المصامدة بها، فكانت بينه وبينهم حروب، وحاصروه بجبل درن، فنهضت إليهم جموع زناتة ـ وكانوا خالصة للمسلمين منذ إسلام مغراوة ـ فأفرجت المصامدة عن عقبة، وأثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الإسلام، ودوَّخ بلادهم، ثم أجاز إلى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة ـ أهل اللثام ـ وهم يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية، فأثخن فيهم، وانتهى إلى تارودانت، وهزم جموع البربر، وقاتل مسوفة من وراء السوس ودوخهم وقفل راجعا»[1].

(1) الاستقصا (1/ 82 ـ 85).

قال العلامة محمد بن أحمد الكانوني العبدي في كتابه «علائق آسفي ومنطقتها بملوك المغرب»: «ثم إن عقبة لما قضى هذا الغرض، ونادى به الحق المفتَرَض، وأسلم على يديه العباد، وتشرَّفت بمقدمه هذه البقاع والبلاد، ولم يبق له فيها منازع، ولا معاند ولا مدافع، وهمَّ بالانصراف، قصد بحر بلاد آسفي كما للشطيبي في «الجمان» والورتيلاني في رحلته «نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار» وغيرهما، فأدخل قوائم فرسه في البحر ووقف ساعة ثم قال لأصحابه: ارفعوا أيديكم ففعلوا، فقال: اللهم...»، وذكر مثل ما تقدم[1].

❁ **كسيلة البربري واستشهاد عقبة ووقع المصاب به:**

قال المالكي في رياض النفوس بعد أن ساق نحوا مما تقدم: «ثم رجع عقبة إلى إفريقية، فلما دنا منها أذن لمن معه من أصحابه أن يتفرقوا ويتقدموا فوجا فوجا إلى إفريقية، فلما انتهى إلى ثغر إفريقية وهي «طبنة» أذن لمن بقي معه بالانصراف إلى القيروان، ومال في خيل يسيرة يريد «تهودة» لينظر قدر ما يكفيها من الخيل، فلما انتهى إليها نظر الروم إلى قلة من معه من الخيل، فلما توسط البلاد نزل، فبعثت الروم إلى كسيلة الأوربي فأعلموه بقلة من معه، فجمع له جمعا كبيرا من الروم والبربر، وزحف إليه ليلا حتى نزل بالقرب منه، وأحاط بعسكر عقبة حتى أصبح، فقاتل عقبة وأصحابه حتى بلغ بهم البلاء وكثرت فيهم الجراح، فاستشهد عقبة رحمه الله وجميع من كان معه رضي الله عنهم أجمعين، واستشهد معه أبو المهاجر الذي كان واليا قبله على القيروان...»[2].

---

(1) علائق آسفي (ص7 ـ 8).

(2) رياض النفوس (1/ 39 ـ 41).

قال الناصري في الاستقصا بعد ذكر ما فعله كسيلة من الغدر بعقبة وأصحابه رضوان الله عليهم: «وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين، استشهدوا في مصرع واحد، وفيهم أبو المهاجر كان عقبة قد استصحبه في اعتقاله كما قلنا، فأبلى ﷺ في ذلك اليوم البلاء الحسن». ثم قال: «قال ابن خلدون: وأجداث الصحابة ﷺ أولئك الشهداء، أعني عقبة وأصحابه، بمكانهم من أرض الزاب لهذا العهد، وقد جُعل على قبورهم أسنمة ثم جصصت، واتُّخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبة، وهو في عداد المزارات ومظان البركات، بل هو أشرف مزور من الأجداث في بقاع الأرض؛ لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحدٌ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه. وأسر من الصحابة يومئذ محمد بن أوس الأنصاري، ويزيد بن خلف العبسي، ونفر معهما، ففداهم ابن مصاد صاحب قفصة وبعث بهم إلى القيروان»[1].

ولقد كان لمقتل هذه الصفوة من الصحابة والتابعين وقع أليم ترامت أصداؤه إلى كل مكان، كما أنه كان من أسباب شهرة عقبة وتعلق الناس به وجمعهم لكراماته ورواياتها ودخوله في المتوارث الشعبي الذي يروى دون اعتبار لمعايير الرواية المعتمدة في قبول الأخبار والآثار.

فإلى جانب تلقيبهم لعقبة ﷺ فقالوا فيه: ««عقبة المستجاب»، أثنوا عليه ثناء واسعا. فقد روى أبو العرب في طبقاته أنه لما عزم على بناء مدينة القيروان في غيضة كثيرة الهوام والأفاعي، وقف على وادي القيروان فقال: يا أهل الوادي، اظعنوا فإنا نازلون، قال: فرُئين يخرجن من أحجارهن هوارب. ثم قال: قال ابن لهيعة: وكان يقال إن عقبة كان مستجابا، ثم ذكر من حديث الواقدي عن رجل من أهل مصر قال: قدمنا مع عقبة

---

(1) الاستقصا (1/ 83 ـ 84)، وانظر الاستيعاب بهامش الإصابة (3/ 109 ـ 110).

ابن نافع، وهو خير والٍ وخير أمير. ثم روى أبو العرب بسنده عن وهب بن منبه وشهر بن حوشب أن هذه البقعة الملعونة التي يقال لها «تهودة» كان النبي ﷺ نهى عن سكناها، وقال: سوف يقتل فيها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله، ثوابهم ثواب أهل بدر وأهل أحد. قال: وقال شهر بن حوشب: سألت التابعين عن هذه العصابة، فقالوا: ذلك عقبة وأصحابه، قتلهم البربر والنصارى بتهودة، فمنها يحشرون يوم القيامة وأسيافهم على أعناقهم حتى يقفوا بين يدي الله تبارك وتعالى»[1].

وذكر المالكي في الرياض أن عقبة مر بعبد الله بن عمرو بن العاص وهو بمصر وقت عودته إلى إفريقية، فقال له عبد الله: لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم، فمضى فقاتل بجيشه البربر وهم كفار فقتلوا جميعا[2].

لقد كان وقع المصاب أليما بمقتل عقبة بن نافع وأصحابه من الصحابة والتابعين، ولكن العبرة إنما هي بالنتائج وتحقق الأهداف المرسومة، والحصول على الثمرات الزكية المرجوة، وسوف نرى مقدار المكاسب التي حصلت عليها البلاد المغربية في سائر امتداداتها من وراء جهاد عقبة وأصحابه الكرام في هذا الطور من تاريخ وطننا المجيد، مما كان له الأثر البليغ في عمق إيمان أهلها وثباتهم على الدين الحنيف وقيمه السامية، وجهادهم مع من جاء بعد عقبة من الولاة لإتمام الفتح في بلاد الأندلس وإقامة دولة الإسلام فيها.

---

(1) انظر طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ص8 ـ 10)، ومثله في رياض النفوس (1/ 43 ـ 44)، والاستبصار في عجائب الأمصار (ص 174).

(2) رياض النفوس (1/ 43)، والاستبصار (ص 174).

المبحث السادس: ثمرات الفتح وآثار الصحابة في المغرب الأقصى بقيادة عقبة

تحاول الكتابات والدراسات التاريخية التي تدور في فلك المستشرقين والمستغربين الذين ينطلقون من المفاهيم الغربية في تقويم الفتوحات الإسلامية وأهدافها وأبعادها الدينية إلى التقليل من أهمية حملة الفاتح الأول للمغرب الأقصى عقبة بن نافع، بل تسعى إلى استبعاد أن يكون عقبة في المدة الوجيزة التي تحرك فيها من القيروان في اتجاه المغرب قد تجاوز المغرب الأوسط وتلمسان على أبعد تقدير، كما أنهم مجمعون على القول بفشل هذه الحملة واتهام قائدها بالاندفاع والتهور وعدم احتساب المخاطر، مما انتهى بزعمهم بحركته إلى الفشل في تحقيق الأهداف المرسومة.

وقد أشار محرر ترجمة عقبة بن نافع في موسوعة «معلمة المغرب» إلى ما لمسه من تباين النظرة بين المصادر التاريخية الإسلامية في النظر إلى مسار ما تحقق على يد عقبة من الفتح وإلى منتهى أثره منه، وبين التوجهات الأخرى التي تشكك أو تجزم في الحكم على حملة عقبة وما أنجزه فيها، فبعد أن أتى بمسرد تاريخي نقلا عن المصادر الإسلامية التي منها ما هو قريب الزمن من عهد الفتح ككتاب «فتوح مصر» لابن عبد الحكم، ومنها ما هو متأخر ككتاب البيان لابن عذاري المراكشي الذي وجده يذكر أن عقبة في حملته قصد السوس الأدنى، أي: بلاد تامسنا والمصامدة حيث تصدى للمقاومة المحلية وقضى عليها، وكذلك فعل في سهل الحوز، واستولى فيه على نفيس وأغمات، وبعد ذلك أجاز إلى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة اللثام كما يقول ابن خلدون، وإذا به يعطف على وجهة النظر الأخرى الغربية فيقول: «هذا إذن هو المسار العام لحملة عقبة على المغرب الأقصى كما تقدمه المصادر، ولئن كان المؤرخون قدامى ومحدثين لا يجمعون على محطات الحملة ومراحلها، فإن معظمهم يقبلون بوصولها إلى مشارف الصحراء الأطلسية»، ثم يقول:«بيد أن أحد الباحثين يرى أن عقبة غزا بالفعل

تلمسان، وربما نظم حملات على شمال المغرب الأقصى دون أن يتعداه»[1]. هكذا بهذه السهولة تشكك في عشرات المصادر القديمة نظرا لأن أحد الباحثين قال ما قال.

وعلى مثل هذه الوتيرة نجد كاتبا وأستاذا معاصرا واسع الشهرة هو الأستاذ عبد الله العروي في كتاب «مجمل تاريخ المغرب» يزيد في التقليل من أهمية حملة عقبة التاريخية ويسعى إلى التقليص من مجالها الجغرافي والعسكري، ويتبنى فقط وجهة النظر الاستشراقية ليقول مختصرا للأحداث: «استعاد عقبة ماموريته سنة 62هـ ـ 682م، فرجع مصمما العزم على إتمام الفتح، توغل في شمال شرق البلاد، واستولى على «لميس» ثم «باغاي» ثم تاهرت، وهنا تتضارب الأخبار: هل دخل المغرب الأقصى أم لا؟ لا شك أنه وصل إلى ناحية تلمسان، لكن نقرأ أنه لم يوقفه إلا البحر، نتساءل: أي بحر، المتوسط أم الأطلسي؟ ساق روبير برانشفيغ (1942 ـ 1947، ص108 ـ 155) أدلة لها وزنها على أن عقبة لم يتعد البحر المتوسط، إلا أن ليفي بروفنصال نشر مخطوطا لم يكن معروفا من قبل (1954، ص17 ـ 43) يشكك في النظرية المذكورة لا يستبعد أن يكون عقبة قد أرسل بعض السرايا إلى ما وراء نهر ملوية، لكن لا يوجد دليل قاطع على كونه استولى على المنطقة أصلا»[2].

ونترك التعليق على هذه الشنشنة التي نعرفها من أخزم كما يقول المثل العربي؛ لأنها تجافي كل منطق للبحث النزيه، وتتنكر لمئات المصادر والمراجع المعتمدة في القديم والحديث، وكلها مجمعة من حيث الجملة والتفصيل على أن حملة عقبة بن نافع قد دوخت المغرب كله، وانتهت في تخومه الجنوبية والشرقية إلى السوس الأقصى وأطراف من الصحراء الكبرى بالإضافة إلى ديار مصمودة وصنهاجة ودرعة وشمال المغرب بما فيه وليلي وطنجة وما حولها.

---

(1) معلمة المغرب (18/ 6102 ـ 6103).

(2) كتاب مجمل تاريخ المغرب لعبد الله العروي (ص110 ـ 111).

ولا أدل على ما نقوله من إجماع المصادر التاريخية على هذه الحقائق ابتداء من أقدم المصادر من تاريخ خليفة بن خياط المتوفى سنة 240هـ إلى عصرنا، ثم لا أدل على ذلك مما تشهد به الآثار المختلفة عن حملة عقبة في عامة المراكز التي تذكر المصادر أنه نزل بها، وهي شواهد صدق لا تقبل الرُّشا؛ إذ لا يعقل أن تبنى المساجد وتقام المشاهد باسم رجل في هذه المناطق المترامية من المغرب، وينسب إليه من الفضائل والكرامات ما لا حصر له، وهو في واقع الأمر لم تطأها له قدم، ولا أجلب عليها بخيل ولا رجل، ومن هنا يأتي تركيزنا في هذا المبحث على إبراز جوانب من آثار عقبة سواء كانت الآثار التي شهد إقامتها في اجتيازه في حملته أو التي بنيت باسمه تخليدا لذكراه ومحبة فيه.

ولست أعني هنا بالآثار الآثار المعنوية التي تمثلت في السرعة التي تمت بها الاستجابة للدعوة من لدن المغاربة في هذه الحملة إلى حد أن كثيرا من القبائل البربرية من صنهاجة وزناتة عوضاً عن أن تقاتل عقبةَ قاتلتْ معه كما قدمنا. وإنما أعني الآثار المادية التي لا سبيل إلى إنكار وجودها، وهذه الآثار في نظرنا كان لها عملها وصداها الشعبي في توارث الأجيال أخبار عقبة والصحابة الفاتحين إلى الحد الذي جعل بعض كتاب عصرنا من أهل المشرق ممن خفيت عليهم هذه الحقائق يعزو ما شاع لعقبة بن نافع من الصيت الذائع والذكر الحسن إلى أن عصبيته في بني فهر القرشيين هي السر في ذلك، فهذا مؤلف كتاب «دراسات في تاريخ الدولة العربية» الدكتور مصطفى أبو ضيف يقول في كتابه متحدثا عن عقبة بن نافع وما ناله من الشهرة في المغرب والمشرق، مقارنا بينه وبين الوالي الذي كان قد عزله وأساء عزله، وهو أبو المهاجر دينار من فضلاء التابعين، فيقول عن أبي المهاجر: «ومن الغريب أن هذا الوالي الجديد لا نجد له في المراجع التاريخية ذكرا يتناسب مع ما قام به من جليل الأعمال، بينما اهتم المؤرخون بعقبة وتتبعوا أعماله». ثم نقل الجواب المحتمل على هذا التساؤل عن مؤلف مشرقي هو الدكتور سعد زغلول عبد الحميد من كتابه «تاريخ

المغرب العربي»[1] فقال معللا للتنويه بعقبة: «ربما كان مرجع ذلك إلى أن الفهريين ـ يعني أهل عصبية عقبة بن نافع الفهري ـ من أقارب عقبة الذين كان لهم مركز ممتاز في مصر والمغرب والأندلس، وكان منهم رواة وإخباريون، وذلك رغم أن بني أبي المهاجر كان لهم مركزهم في المغرب، وكان منهم إخباريون أيضا، ولكنهم لا يرقون إلى مرتبة الفهريين»[2].

والواقع أنه ما كان ينبغي أن ينسب الفرق بين الرجلين اللذين استشهدا معا في موقعة «تهودا» على يد كسيلة وأتباعه لما ذكره الباحثان من العصبية الفهرية؛ إذ العصبية لا سبيل لها إلى تأسيس المساجد باسم عقبة في مواضع كثيرة من المغرب كان لعقبة وجود فيها، ولا سبيل لها أن تقيم في بلاد غانة الإفريقية مثلا اثني عشر مسجدا كلها تحمل اسم عقبة بن نافع كما ذكر الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في كتاب الموسوعة المغربية[3].

وإنما يرجع الفرق بين الرجلين إلى عنصرين هامين لم يوضعا عندهما في الاعتبار:

1. أولهما: أن عقبة معدود من الصحابة الذين أدركوا الرسول ﷺ بالميلاد، وهذه فضيلة ليست لأبي المهاجر؛ لأنه تابعي باتفاق[4].
2. ثانيهما: أن عقبة صاحب مشروع فتح المغرب؛ لأنه شارك في جميع مراحله كما تقدم لنا، وليس كذلك أبو المهاجر.

---

(1) تاريخ المغرب العربي للدكتور سعد زغلول عبد الحميد (1/ 189).

(2) دراسات في تاريخ الدولة العربية للدكتور مصطفى أبو ضيف أحمد (ص367).

(3) الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية (2/ 135) نقلا عن أحمد بابا مؤرخ سونغاي مؤلف «الإسلام في إفريقيا»، نشر بباريس 1899م، (ص52).

(4) انظر رياض النفوس للمالكي (1/ 31).

ولذلك اتفقت المصادر على أنه الفاتح الأول للمغرب الأقصى، ومن التسليم بهذه الحقيقة أرخ له كل من أرخ للفتح، ابتداء من الفقيه عبد الملك بن حبيب (ت238هـ) في كتاب «التاريخ» له[1]، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط (ت240هـ)[2]، وانتهاء إلى من خصوا عقبة بالتأليف في سيرته كتبا مستقلة، ومنهم في المغرب العلامة الأستاذ عبدالله كنون في كتابه «عقبة بن نافع الفهري» ضمن سلسلة كتابه القيم «ذكريات مشاهير رجال المغرب».

ومنهم المحلل العسكري البارع الشيخ محمود شيت خطاب في كتابه في سيرة عقبة بن نافع، وهو مطبوع قديما كما ذكره العلامة خير الدين الزركلي في مستدركه على كتاب «الأعلام» له[3].

وقد استطاع محرّر ترجمة عقبة في كتاب «معلمة المغرب» من تأليف جماعة من الأساتذة الباحثين أن يتجاوز ما آلت إليه حملة عقبة وأصحابه لينظر في النتائج التي ترتبت عنها حين قال معقبا على خبر استشهاده: «وإذا كانت حملة عقبة على المغرب الأقصى قد آلت إلى فشل عسكري مؤقت، فلا ينبغي غض الطرف عن انعكاساتها الإيجابية، وخصوصا في المجال الديني، فقد نبهت السكان المحليين إلى عقيدة الفاتحين، وهيَّأتهم لقبولها فيما بعد، لاسيما وأن عقبة عمد إلى بناء المساجد ببعض جهات البلاد (درعة والسوس الأقصى والحوز)»[4].

إن هذه الانعكاسات الإيجابية من مساجد وغيرها هي ما سميناه ثمرات الفتح، وهي أعظم دليل على ما أنجزه عقبة في حملته، وأوثق بينة للرد على الأطروحة الباردة

---

(1) كتاب التاريخ (ص 122).
(2) كتاب التاريخ لخليفة بن خياط (ص251).
(3) الأعلام: المستدرك (2/ 142).
(4) معلمة المغرب (18/ 6104).

التي تشكك في فتح عقبة للمغرب الأقصى وبلوغه إلى حيث بلغ، وتريد أن تقصر حملته على نواحي تلمسان ووادي ملوية دون حصول على نتيجة تذكر، ولتقرير هذه الحقيقة بهذه البيانات الشاخصة التي لا تقبل النقض نتوقف عند شواهد الآثار على صعيد الواقع والموصوفة في الوثائق المكتوبة في المصادر التاريخية من مساجد ومشاهد وآثار عمرانية أخرى تحمل اسم عقبة، إما لأنه أمر بإقامتها أو حضر ذلك، أو سماه الناس باسمه تعلقا بذكراه واعترافا له بالمنة والفضل. ونبدأ من آثار عقبة ﷺ بما خلده الناس من ذكراه في محافظتهم على مصحفه الشريف نحو أحد عشر قرنا، وهو المسمى باسم «المصحف العقباني»، ونخصه بمبحث خاص.

المبحث السابع: مصحف عقبة أو «المصحف العقباني» ومحافظة أهل المغرب عليه

كان لعقبة بن نافع ﷺ مصحف شخصي تُوُورث عنه، وكان يدعى «المصحف العقباني» نسبة إليه، على غرار مصحف الجماعة المعروف بـ «المصحف العثماني» نسبة إلى ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ[1]. ويدل ما تجمَّع عندي من معلومات عنه على أنه كان متعدد النسخ لظهور بعض نسخه بإفريقية وبعضها بالمغرب، ووصل بعضها إلى عصرنا.

ولقد تحدثت الباحثة التونسية الأستاذة هند شلبي في كتابها «القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس» عن مصحف منسوب لعقبة بن نافع بتونس جاء وصفه في فهرس المخطوطات المصورة بجامعة الدول العربية، وتعرض له د. صلاح الدين المنجد في كتابه عن تاريخ الخط العربي حيث جاء في الفهرس ما يلي: «مصحف شريف بقلم مغربي كتبه حديج بن معاوية بن سلمة الأنصاري سنة 47 بمدينة القيروان، كتبه للأمير عقبة بن نافع الفهري في أوراقه تذهيب كثير»[2].

وقد ناقشت الباحثة هذه المعلومات الواردة في الفهرسة وعند الدكتور صلاح الدين المنجد واستبعدت أن يكون التاريخ المذكور ـ وهو سنة 47هـ ـ صحيحا، كما استبعدت أن يكون كتب بخط مغربي، ومستندها أن عقبة في هذا التاريخ لم يكن واليا على القيروان، وأن القيروان لم تؤسس بعد، فكيف تكون كتابته فيها لعقبة؟! وذكرت أن كلا من كاتب الفهرس والدكتور المنجد قد شكَّا قبلها في هذه المعطيات، ومنها تذهيب المصحف ونوع الخط والألوان المستعملة فيه، إلا أنها انتهت إلى نوع من

---

(1) انظر كتابنا «قراءة الإمام نافع عند المغاربة» (1/ 61).
(2) أمانة 44، 226 ق. 11 ـ 17سم.

التوفيق بين الاحتمالات بقولها: «لعل الإجابة الممكنة تتمثل في اعتبار المصحف الموجود اليوم ليس هو بعينه المصحف الذي كتبه حديج بن معاوية، إنما هو نسخة ثانية منه كتبت في فترة متأخرة..»، ثم ذكرت كيف نسب المصحف العثماني إلى عثمان وهو لم يكتبه بنفسه، وكيف وجدت مصاحف متعددة منسوبة إلى عثمان كتبت بخطوط متنوعة في أزمنة مختلفة، ثم قالت:«فلعل هذا هو الذي حدث بالنسبة إلى مصحف عقبة بن نافع، كتب بالقيروان بعد تأسيس عقبة لها، ولعله بقي بها مدة إلى أن جاء من انتسخ منه المصحف الموجود اليوم، ثم ضاع الأصل وبقيت النسخة الثانية شاهدة عليه»، ثم قالت الباحثة في النتيجة: «نرى إذن أن الشكوك كثيرة حول هذا المصحف، لكن ذلك لا يمنع من تسجيل وجوده بإفريقية في فترة متقدمة من تاريخ فتحها، وهذا المصحف وإن كان قد كتب لأمير الجيش العربي، فهو إذن مصحف شخصي، نتصور أنه ساعد على نشأة الوراقة المصحفية بإفريقية التي لم تتأخر كثيرا في الظهور على ما يبدو»[1].

ويظهر أن الباحثة لم تتمكن من الاطلاع على هذا المصحف، ولم تهتم بكونه مطابقا أو مخالفا لمرسوم المصحف الإمام العثماني، ولكن أستاذنا محمد المنوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو باحث متخصص في تاريخ المصاحف في المغرب، تعرض لذكر مصحف عقبة في أثناء حديث عام له عن المصاحف المغربية الخطية فقال: «ومن أقدم مصاحف الغرب الإسلامي التي تعتبر ذات صلة بالمصحف العثماني، المصحف المنسوب للصحابي الجليل عقبة ابن نافع فاتح المغرب، وهو منسوخ من المصحف العثماني مباشرة»[2].

---

(1) القراءات بإفريقية لهند شلبي (ص47 ـ 53).

(2) تاريخ المصحف العثماني في المغرب للمنوني، دعوة الحق: العدد 4 السنة 22، يونيو ـ يوليوز 1981م (ص1)، وكذا العدد 2: 1968م (ص71).

وهذه المعلومات عن المصحف العقباني مذكورة عند أبي القاسم الزياني الذي أشار إليه الأستاذ المنوني في بحثه.

لكني وقفت عليها بشيء من التفصيل عند العلامة محمد المشرفي في كتاب «الحلل البهية» تحت عنوان «إرسال هدية إلى الحرمين الشريفين» وذلك في حديثه عن مآثر المولى عبد الله بن المولى إسماعيل العلوي حيث قال: «وفي سنة خمس وخمسين ومائة وألف، بعث مولاي عبد الله ـ هذا ـ إلى الحرمين الشريفين هدية نفيسة فيها ثلاثة وعشرون مصحفا بين كبير وصغير محلاة بالذهب، ومرصعة بالدر والياقوت، ومن جملتها المصحف الكبير العقباني الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثماني الذي كان عند بني أمية بالأندلس، وانتقل إلى هذه العدوة على يد عبد المومن بن علي». قال: «وأما المصحف العقباني فهو مصحف عقبة بن نافع الفهري الصحابي المشهور فاتح المغرب، كان نسخه بالقيروان من المصحف العثماني على ما قيل، وبقي متداولا بين أهل المغرب إلى أن وقع بيد الأشراف السعديين، وأخذ فيه المنصور العهد لولده الشيخ على إخوته. ولما وصل إلى هذا السلطان ـ يعني المولى عبد الله رحمه الله ـ غرَّبه عن المغرب إلى الحرم الشريف، فعاد به الدر إلى وطنه، والإبريز إلى معدنه»[1].

وما أشار إليه في النص من أخذ أحمد المنصور السعدي للعهد على أولاده لأخيهم محمد الشيخ في المصحف العقباني أرخه العلامة محمد الصغير الإفراني في كتابه «نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي» تحت عنوان «ذكر الخبر عن تجديد المنصور البيعة لولده»، ثم قال: «وفي شوال عام 992هـ جدّد المنصور البيعة لولده ولي عهده محمد الشيخ الملقب بـ«المأمون» على إخوته خصوصا؛ لأنهم كانوا في البيعة الأولى قبل البلوغ...»، قال: «وباشر المنصور البيعة له بنفسه، وحضر الأعيان وأهل الحل والعقد،

(1) الحلل البهية للمشرفي (2/ 9).

وأحضر المصحف الكريم الذي هو مصحف عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه وهو من ذخائر الخلفاء، وأحضر الصحيحين البخاري ومسلم، وقرئ ظهير البيعة»[1].

وغني عن التعليق ما يتضمنه أخذ البيعة أو تجديدها على أولاد المنصور الذهبي بإحضار مصحف عقبة بالذات والتنويه بأنه مصحف الصحابي من عميق الدلالة على مكانة عقبة في نفوس العامة والخاصة، ومكانة مصحفه أيضا بالقياس إلى غيره مع القيمة التاريخية التي اكتسبها بالعتاقة والنسخة الفريدة كما دل على ذلك قوله: «وهو من ذخائر الخلفاء»، إلا أنه للأسف إنما بقي في المغرب بعد هذا بضعا وستين ومائة عام، ثم أهداه المولى عبد الله العلوي إلى الحرم الشريف فعاد الإبريز إلى معدنه كما عبر عنه كل من الزياني والمشرفي .

(1) نزهة الحادي (ص175).

المبحث الثامن: المساجد والرباطات التي تحمل اسم عقبة والآثار الباقية من ثمرات حملته

ارتبطت بحركة عقبة في الفتح حركة أقوى منها في جانب الدعوة تجسدت في الاستجابة السريعة لأهل المغرب للدخول في الإسلام واستقبال الفاتحين والرغبة في التعلم منهم والاقتداء بهم والتماس البركة من آثارهم، وكان عقبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيثما نزل في حركته أسس مسجدا أو رباطا يتخذه مركزا لتعليم أهل البلاد ومنطلقا لإتمام الفتح وتبليغ الدعوة، وذلك ـ ولا شك ـ كان يقتضي أنه كان يترك في كل مسجد أو رباط أقامه بعض رجاله ممن يقوم بهذه المهام. وقد تفاوتت المساجد والرباطات التي أقامها أو أقيمت باسمه في الأهمية والشهرة، ولكن المتتبع لمسار عقبة في هذه الحملة نحو المغرب الأقصى إلى تخوم السوس وأطراف الصحراء يجد له في المصادر ذكرا وحضورا بارزا في أهم المناطق التي مر منها. ولا يتسع لنا المجال في هذا العرض لاستيفاء الحديث عن تلك المساجد والرباطات وأدوارها التي قامت بها في ترسيخ آثار الفتح، ودور بعضها الذي ما تزال آثاره قائمة وماثلة إلى اليوم كرباط شاكر مثلا؛ ولذلك فلنقتصر هنا على ذكر مواقع هذه المنشآت التي تحمل اسم عقبة مع الإشارة إلى المصادر التي ذكرتها، ونستهل ذكر هذه المساجد ذات الأثر البارز بمسجده الأول الذي أسسه في مدينة القيروان، والذي ما يزال يحمل اسم «مسجد عقبة» أو «جامع عقبة» إلى اليوم.

❁ جامع عقبة في القيروان:

أسس عقبة هذا المسجد عند تخطيط مدينة القيروان، وأقام قبلته بمحضر عدد وفير من فقهاء الصحابة والتابعين، وقد جدّده عدد من الولاة الذين جاؤوا بعده، ولكنهم

في كل مرة ظلوا يحتفظون بمحرابه على الوضع الذي وضعه عليه عقبة تبركا بـه كمـا ذكر ذلك صاحب «الاستبصار في عجائب الأمصار»[1].

وقد خلّد عملَ عقبة هذا في هذا المسجد ومـا اقترن بإنشائه من كرامـات أحـد أكـابر علمـاء القيروان، وهو أبو إسحاق السبائي (ت356 هـ) في قـصيدة طويلـة في مقاومـة الروافض العبيديين والثناء على الصحابة الكرام، ذكرها له المـالكي بتمـامها في «رياض النفوس» في ترجمته، ومـمـا قال فيها مـمـا يهمنا قوله:

فهـــل للقـــيروان وســـاكنيها ... عـــديل حـــين يفتخـــر الفخـــور
عـــراق الـــشرق بغـــداد وهـــذي ... عـــراق الغـــرب بينهمـــا كثـــير
ولـــست أقـــيس بغـــداداً إليهـــا ... وكيـــف تقـــاس بالـــسنة الـــشهور
بـــلادٌ تقـــصف العظمـــاء قـــصفا ... إذا مـــا رامهـــا مـــنهم غـــدور
بـــلاد خطهـــا أصـــحاب بـــدر ... وتلـــك اخـــتط ســـاحتها أمـــير
بناهـــا «المـــستجاب»وقـــد دعا في ... جوانبهـــــا دعاء لا يبـــــور
بناهـــا كل بـــدري كـــريم ... كـــأن صـــفاح أوجههـــم بُـــدور
هـــمُ صـــلوا بمـــسجدها بَراحـــا ... ولـــيس له جـــدار مـــستدير
وهـــم وضـــعوا له أُسُـــساً وساســـاً ... فقُدِّســـت المواضـــع والـــصخور
وقـــادهم الأذان إليـــه حـــتى ... أضـــاء لهـــم مـــن المحـــراب نـــور
ولـــم يـــسبقهمُ ملـــك ظلـــوم ... لتأســـيسٍ ولا ملـــكٌ كَفـــور
وأصـــحاب النـــبي له بُنـــاة ... فـــلا عـــصيان فيـــه ولا فُجـــور
أقـــاموا شـــطر قبلتنـــا ســـويا ... إلى البيـــت العتيـــق فلـــم يجـــوروا

---

(1) انظر الاستبصار (ص 114).

وإنَّ عِراصَـــــه لمُقَدَّســـــات مباركـــــة وتربتُـــــه طَهـــــور
بهـــا حِلَـــق العلـــوم لهـــا دوي يجاوبُهـــا الكتـــاب المـــستنير

إلى أن يقول:

وإنـــا بعـــدُ في خـــوف وأمـــن نحـــبُّ إذا تـــشَعَّثت الأمـــور
رســـولَ الله والـــصديقَ حُبّـــاً بـــه تُـــزجى الـــسعادة والحُبـــور
وبعدهمـــا نحـــبُّ القـــومَ طُـــرّاً ومـــا اختلفـــوا فـــربُّهمُ غفـــور

❁ مسجد سيدي عقبة بموضع استشهاده.

وهذا المسجد إنما أقيم بعده، ولكنه أقيم بسببه وتخليدا لذكراه، وقد تقدمت إشارة ابن خلدون إليه، وقوله عند ذكره لأحداث الصحابة هناك: «واتُّخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبة، وهو في عداد المزارات ومظان البركات، بل هو أشرف مزور من الأجداث في بقاع الأرض؛ لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين..»(1).

ومسجد عقبة اليوم مسجد حافل في قرية تحمل اسم «سيدي عقبة»، ومسجدها المذكور مسجد فخم تتسع قاعته لستة آلاف من المصلين، وبجواره مدرسة قرآنية عامرة وداخلية ومكتبة وقاعة للمحاضرات، وهو تابع لولاية بسكرة الجزائرية، يبعد عنها بـ18كلم إلى الجنوب الشرقي.

❁ قلعة ومسجد بنواحي فاس من بناء عقبة

قال صاحب «الاستبصار» عند ذكر ضواحي مدينة فاس: «وبالقرب منها أيضا قلعة يقال لها «قلعة زيد»، فيها مسجد يقال: إن عقبة بن نافع بناها»(2).

(1) انظر نقله عند الناصري في الاستقصا (1/ 83).
(2) الاستبصار (ص185 ـ 186).

❁ مسجد نفيس ورباطه بأحواز مراكش

قال في «الاستبصار»: «وهي مدينة أزلية غزاها عقبة بن نافع رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحاصرها وبنى فيها مسجدا، وهو معروف بها إلى اليوم». يعني في المائة السابعة[1]. ومثله في كتاب الأنساب لابن عبد الحليم[2]، وفي البيان المغرب لابن عذاري[3]. وفي كتاب التشوف للتادلي ذكر لهذا الرباط وقصص وكرامات مرتبطة به ذكرها[4].

❁ مسجد إيجلي بالسوس

قال في «الاستبصار»: «وإيجلي قاعدة بلاد السوس»، وذكر وصول عقبة إليها عند دخوله في الفتح[5]. وذكر ابن عذاري مثل ذلك في البيان المغرب وقال: «وسار حتى نزل «إيجلي» بالسوس وبنى فيه مسجدا»[6].

❁ مسجد وَلاَتة بموريتانيا

ومما يؤكد توغل حملة عقبة في الفتح في الصحراء المغربية وعدم وقوفه في حدود السوس الأقصى ما نقله الأستاذ الموريتاني الخليل النحوي في كتابه القيم «بلاد شنقيط ـ المنارة والرباط» إذ قال في حديثه عن وصول الإسلام إلى الصحراء: «وتقول بعض الروايات: إن عقبة بن نافع واصل سيره حتى وصل «ولاَتة». قال الشيخ سيدي محمد

---

(1) الاستبصار (ص108).

(2) الأنساب (ص88).

(3) البيان المعرب (1/ 27).

(4) التشوف إلى رجال التصوف (ص314 ـ 315).

(5) الاستبصار (ص212).

(6) البيان المغرب (1/ 27).

ابن الشيخ سيدي المختار (ت1244هـ): وخلّف عقبة ابنه العاقب بـ«سير» أو «بيرو» المدعوة الآن «وَلاَتة»، وقبره بصحن مسجدها الذي هو بانيه»[1].

❁ مسجد عقبة في ماسة بسوس ورباط ماسة.

وقد نوّه بهذا المسجد من المصادر العتيقة المالكي في رياض النفوس فقال في حديثه عن حملة عقبة: «فسار حتى نزل بماسة بمكان من السوس الأقصى فبنى فيه مسجدا»[2].

وقال صاحب الاستبصار: «وعلى مصب هذا الوادي ـ يعني وادي ماسة ـ رباط مقصود له موسم عظيم ومجتمع جليل، وهو مأوى الصالحين»[3].

❁ مسجد عقبة بوادي درعة والقرية المسماة باسم عقبة.

قال ابن عبد الحليم في كتاب الأنساب: «والذي صح أنه حضر لبنيانه عقبة: «مسجد القيروان» و«مسجد درعة» ومسجد بوادي سوس، وأما غير ذلك فالله أعلم بحقيقته»[4].

ونقل ابن عذاري هذا النص سماعا من ابن عبد الحليم فقال: «أخبرني الشيخ الصالح أبو علي صالح بن أبي صالح أنه لم يصح عنده أن عقبة ﷺ حضر بنيان شيء من المساجد بالمغرب، إلا مسجد القيروان، ومسجدا بدرعة، ومسجدا بالسوس

(1) بلاد شنقيط ـ المنارة والرباط (ص30)، نقلا عن الشيخ سيدي محمد الكنتي في «الرسالة الغلاوية» (مخطوط).

(2) رياض النفوس (1/ 40).

(3) الاستبصار (ص212)، وانظر كتاب المغرب للصديق بن العربي (ص156).

(4) الأنساب (ص88).

الأقصى، وأما غير ذلك من المساجد المسماة باسمه فإن الناس ـ والله أعلم ـ بنوها بموضع نزوله»(1).

ونقل المراكشي في الإعلام عن رحلة أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي ـ وهي من جمع ولده ـ أنه «لما تكلم على ضريح عقبة قال: «ويقال إنه بلغ إلى أقصى المغرب، وبلغ وادي درعة، وإليه تنسب القرية المدعوة «عقبة» بخميس تنزلين»(2).

❁ رباط عقبة بقبيلة هسكورة.

ذكره ابن عبد الحليم في كتاب الأنساب في سياق ذكره لنسب هسكورة من قبائل مصمودة فقال: «وذُكر أن عقبة بن نافع لما وصل إلى بلاد هسكورة سأل عن أميرهم، فقالوا له: رجل يقال له حُرما بن توطس، فأرسل إليه فأخذ منه عقبة جزيته، وقال: هذه حرمة بيني وبينكم أو تدخلوا في الإسلام، فدخلوا فيه من غير قتال بينه وبينهم»، قال: «وكان اجتماع عقبة مع هسكورة بـ «إيمونتمدا»؛ ولذلك جعلوه رباطا إلى الآن، ويطلبون فيه حوائجهم، وظهرت لهم بركة ذلك الموضع»(3). قال ابن عبد الحليم: «وهم الذين ترك عندهم عقبة اثني عشر رجلا من المرضى كانوا في عسكره حين جاز إلى سوس، ونزل رجل آخر منهم من أهل تاساوت في وادي نفيس ببلد هزميرة»(4).

❁ رباط شاكر ومسجده على ضفة تانسيفت بإقليم آسفي وبلاد أحمر:

هو أشهر رباط إلى اليوم، ويجري في وقتنا توسيعه وبناء مسجده وإنشاء قرية سياحية عنده ومشروع فلاحي، بعد أن بني سد مائي باسمه، وهو «سد سيدي شيكر»،

---

(1) البيان المغرب (1/ 27).
(2) الإعلام (9/ 313 ـ 314).
(3) الأنساب (ص56 ـ 57).
(4) نفسه (ص57).

وهكذا ينطق بإمالة ألفه، كما تقيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عنده موسما سنويا في أواخر شهر رمضان، وحولته مؤخرا إلى لقاء دولي للطرق الصوفية يفدون عليه من مختلف الجهات والأقطار.

وقد ذكره ابن الزيات في كتاب «التشوف» في اثني عشر موضعا من تراجمه، ونوه بمن كان يغشاه أو يصلي في مسجده ليلة سبع وعشرين أو يعظ الناس على منبره. ولما ذكر أحوال الصالحين في أول كتابه قال: «ومنها سفرهم في كل رمضان إلى «رباط شاكر» الذي ذُكر أنه كان من أصحاب عقبة بن نافع الفهري، وأنه مات هناك، وأن يعلى بن مصلين الرجراجي بناه، وكان يقاتل كفار برغواطة وغزاهم مرات، وأن طبله هو الباقي هناك إلى الآن، والله أعلم»[1].

وقال ابن الزيات في كتابه: «وحدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال: رأيت منية الدكالية في «رباط شاكر» فصليت بها ـ يعني إماما ـ في جماعة من المريدين، وانصرفت عنهم، فأخبرني بعض من تحدث معها من المريدين أنها قالت: حضر هذا العام بهذا الرباط ألف امرأة من الأولياء»[2].

وذكره أبو علي اليوسي فقال في كتاب «المحاضرات» متحدثا عن الرباطات: «ومنها رباط شاكر، وهو مشهور، وكان مجمعا للصالحين من قديم، ولا سيما في رمضان، يفدون إليه من كل أوب»[3]. ثم نقل ما ذكره صاحب «التشوف» عن شاكر وما يُذكر من كونه من أصحاب عقبة، وذكر نقلا عنه مقالة منية الدكالية في حضور ألف امرأة

(1) التشوف (ص51 ـ 52).

(2) نفسه (ص316).

(3) المحاضرات (ص45).

من الأولياء في رباط شاكر في رمضان، وقال اليوسي: «فانظر إلى عدد النساء، فكيف بالرجال! فلا شك أن هذا الموضع موضع بركة ومجمع خير»(1).

ذلك هو رباط شاكر، وفيه مسجده المنسوب إليه، وعنده ضريحه الذي بناه يعلى بن مصلين الرجراجي كما قال ابن الزيات في «التشوف»، وتلك هي صلته بعقبة بن نافع التي تتفق عليها المصادر، وأنه كان من أصحاب عقبة. وأما ما وراء ذلك من شخصيته فقد تعاورته الأقوال المتضاربة.

فهذا ابن الزيات في «التشوف» ذكره في اثني عشر موضعا من كتابه باسمه المجرد، وفي أول ذكر لرباطه عرّف بشاكر فقال كما تقدم: «الذي ذُكر أنه كان من أصحاب عقبة بن نافع الفهري، وأنه مات هناك، وأن يعلى بن مصلين الرجراجي بناه»، فاكتفى بذكر اسمه المجرد وموته هنالك وبناء يعلى الرجراجي لرباطه، ولم يذكر أية صلة قرابة له بيعلى بن مصلين الرجراجي المذكور، بينما تجعله الروايات الشعبية المتداولة عند الرجراجيين والمدافعين عن صحبتهم للرسول ﷺ ولدا ليعلى بن مصلين الرجراجي المذكور، وتعدُّ يعلى الرجراجي هذا واحدا من رجال رجراجة السبعة الذين وفدوا على النبي ﷺ إلى مكة قبل الهجرة النبوية فبايعوه على الإسلام، وأن فاطمة الزهراء رضي الله عنها هي السبب في تسميتهم باسم «رجراجة» في قصة ذكرها الشيخ عبد الله بن محمد بن البشير الرجراجي في كتابه «السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول»(2).

فبمقتضى هذه الدعوى يكون شاكر بن يعلى صاحب عقبة بن نافع رجلا من أبناء رجراجة المقول بصحبتهم القديمة للرسول ﷺ قبل وصول عقبة إلى المغرب ببضع

---

(1) المحاضرات (ص45).

(2) انظر السيف المسلول (ص28 ـ 29).

وسبعين سنة. وقد كنت جمعت الكثير من الأدلة القاطعة على تهافت هذه الأطروحة، ثم رأيت كثرة اللغط حولها إثباتا ونفيا ككثير مما أورده العلامة الكانوني في كتاب «الياقوتة الوهاجة» وما حشده صاحب «السيف المسلول» وسوى ذلك كثير مما لا يتسع له هذا العرض، فأعرضت عن الدخول في هذه المتاهة، لا سيما وأن رجراجة قد انتهوا من تقرير الدعوى، وحصلوا بناء عليها على الظهائر الشريفة منذ أيام المولى إسماعيل، وعلى أساس تلك الدعوى يقيمون مواسمهم السنوية منذ العهد المريني، كما أنهم يقبضون رمز الخدمة لزوايا رجراجة، وهو عبارة عن شاة من الغنم أو قيمتها، ويتولون جبايتها في أول أشهر الصيف إلى اليوم من جميع بلاد الشياظمة، وقد وردوا على منزلنا ببادية الصويرة مرات لا أحصيها، وحضرت ذلك يوم كان والدي وجدّي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ مستوطنين هناك. ويكفي في تهافت الدعاوى في رجال رجراجة من الصحابة المزعومين أن أسماءهم وأسماء آبائهم إلى الرابع أو الخامس من سلسلة أنسابهم كلها أسماء عربية وإسلامية، فباستثناء رئيسهم الذي يسمى «واسمين» ويكنى بـ «أبي محمد» ـ وهو أمر عجيب ـ نجد الآخرين يحملون أسماء لا يعقل أن تكون هي أسماءهم وهم مع ذلك من بربر مصمودة أو من ذرية حواريي عيسى بن مريم الذين جاءوا من الأندلس قبل الإسلام كما يقرره صاحب «السيف المسلول»، فباقي أسمائهم هي: أبو بكر الشماس، وولده صالح بن أبي بكر، وعبد الله الشماس، وعيسى بوخابية، وسعيد بن يبقى المعروف بالسابق، وأخيرا يعلى بن واصل أو ابن مصلين. وفي سلاسل آبائهم أيضا نحو عشرين اسما كلها عربية، فرئيسهم مثلا هو: واسمين بن يعزى بن مهدي بن إسماعيل بن مروان بن علقمة. وأبو بكر الشماس هو: أبو بكر بن عكرمة بن عتيق بن أبي خالد بن أمج. ويعلى الذي يذكر أنه والد شاكر هو: ابن مصلين أو واصل بن طلحة بن إسماعيل بن مروان بن علقمة. وهكذا.

فأين هذه الأسماء من أسماء رجال مصمودة كما نجدها مثلا في القرن السادس عند البيذق في كتاب «الأنساب في معرفة الأصحاب»؟![1].

فإذا أضفنا إلى هذا أن يعلى بن مصلين الذي بنى «رباط شاكر» بناه بموضع شاكر أو بموضع عقبة، فمعنى هذا أنه عاش إلى عهد دخول عقبة إلى المغرب سنة72هـ أو 73هـ، في حين أن كونه من رجال رجراجة السبعة الذين هم من الصحابة الكرام يقتضي أنه كان قبل هجرته عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى المدينة في سن الرجال، وأقل ذلك أن يكون قادرا على شد الرحال إليه رفقة أصحابه، فإذا قدرنا أنه يومئذ في نحو العشرين، فإنه يكون عند دخول عقبة بعد الهجرة بأكثر من سبعين سنة، وصحبة ولده شاكر له، إذ ذاك يكون قد شارف المائة سنة، وهذه السن لا تتناسب مع ما يذكر عنه من جهاد برغواطة، لا سيما وأنهم لم يظهروا بنحلتهم في تامسنا على يد صالح بن طريف البرغواطي إلا في القرن الهجري الثاني.

وفي كتاب «القبلة» لابن عبد الحليم صاحب كتاب الأنساب ـ وهو كتاب ما يزال مخطوطا[2]ـ ما ينسف صحبة يعلى بن مصلين من أساسها؛ إذ يجعله ما ذكره من محاربته لبرغواطة متأخرا عن زمن عقبة وشاكر بنحو ثلاثة قرون، وقد نقل عنه الأستاذ أحمد التوفيق في تعليق له على اسم يعلى بن مصلين عند ذكر المتقدم في كتاب التشوف فقال:«يعلى بن مصلين هو ثالث ثلاثة انتدبهم شيخهم أبو محمد بن تيسييت بأغمات لقتال برغواطة، فقتل الأول، وهو داود بن يمقول من صنهاجة، فقدم تلامذة الشيخ لقيادتهم يحيى بن ويدفا الصادي حتى قتل، فقدموا يعلى بن مصلين هذا، وهو ركراكي،

---

(1) انظر كتاب المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب لأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بـ«البيذق» (ص43 ـ 55).

(2) منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 985.

وهو الذي بنى مسجد «رباط شاكر»، وكان ذلك في قرابة نهاية المائة الرابعة للهجرة»[1].

فإذا صح هذا تبين أن يعلى بن مصلين ليس والدا لشاكر، ويترتب على تأخره عن زمنه أنه لا يعقل كونه من الصحابة أو رجال رجراجة السبعة، ولعله لهذه العلة وغيرها لم يذكر له ابن الزيات صلة بشاكر إلا من جهة بنائه لرباطه، بل زاد على ذلك أنه على كثرة من ذكر من الرجراجيين في «التشوف» لم يترجم ليعلى بن مصلين ولا لأحد من رجال رجراجة الباقين، مع أنه كان من أعرف الناس بأخبارهم بحكم مخالطته المحلية لهم؛ إذ كان قاضيا ببلاد رجراجة، وبها كانت وفاته كما قال العلامة الكانوني في «جواهر الكمال»: «قاضيا ببلاد رجراجة سنة سبع أو ثمان وعشرين وستمائة رحمه الله»[2].

وفي مقابل الأطروحة الرجراجية وصحبة رجال رجراجة السبعة المزعومة التي تحدثنا عن تهافت مستنداتها تهمنا بالذات الأطروحة المقابلة التي نجدها أكثر مقاربة للحقيقة التاريخية، وإن كان بعض الباحثين أسرف فيها حتى جعل شاكرا في عداد الصحابة الكرام، بل وجعله من رجال رجراجة السبعة أيضا.

وتنطلق الأطروحة أولا باعتبار كون شاكر عربي الأرومة وممن دخل المغرب في صحبة عقبة، أما اسمه ونسبه فهو شاكر بن عبد الله الأزدي، ومعناه أنه منسوب إلى الأزد القبيلة اليمنية الكبيرة التي يرجع إليها نسب أنصار النبي ﷺ من الأوس والخزرج بالمدينة المنورة.

---

(1) انظر التشوف (ص52) رقم التعليق 36، وكتاب القبلة لابن عبد الحليم ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط في مجموع برقم ق 985.

(2) جواهر الكمال (ص106 ـ 107).

وأما صلته بعقبة فيظهر أنها كانت متقدمة في الزمن عن عهد دخول عقبة في هذه الحملة السريعة، ويستفاد ذلك من وصفه الشائع في المصادر بكونه «من أصحاب عقبة»، ومن مثل قول ابن عذاري في البيان المغرب متحدثا عن مراحل حملة عقبة: «ثم إلى موضع شاكر، وترك به صاحبه شاكرا فسمي باسمه»[1]. ومثله في كتاب الأنساب لابن عبد الحليم[2].

ويظهر أن هذا هو القدر الذي يكون محل اشتراك في شأن صلة شاكر بعقبة، لكننا نجد العلامة محمد الكانوني العبدي في «جواهر الكمال» يخطو بهذه الأطروحة خطوة أخرى إلى الأمام في اتجاه احتمال كون شاكر نفسه صحابيا، وذلك حيث يقول في كتابه «جواهر الكمال» بعد أن ذكر قول ابن خلدون السابق: «إن عقبة مات معه عند رجوعه من المغرب زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين»، قال الكانوني استنتاجا مما ذكره: «فإذا ثبت أنه من أصحاب عقبة بشهادة التاريخ، وثبت أيضا أنه كان مع عقبة عدد كبير من الصحابة، ثبت بذلك أن السيد شاكرا ـ إن لم نقل باحتمال صحبته ـ فهو تابعي بلا مرية؛ لأنه لا يتصور عادة أن يصحبه جيش واحد من أدنى المغرب إلى أقصاه ولا يجتمع بواحد منهم، هذا ما لا يعتقده ذو عقل سليم»[3].

وقد نحا هذا المنحى أيضا الشيخ عبد الحي الكتاني في كتاب ألفه عن شاكر ورباطه، ذكره الرجراجي في «السيف المسلول»[4]، كما سلك ذلك في بحث له نشره بمجلة المغرب (يونيو ـ يوليوز 1936م) تحت عنوان: «أشرف بقعة وأقدس بناحية مراكش»[5].

---

(1) البيان المغرب (ص27).
(2) الأنساب (ص89).
(3) جواهر الكمال (2/ 96).
(4) انظر السيف المسلول (ص37 ـ 38).
(5) انظر الهامش رقم 34 من تحقيق كتاب «التشوف» للأستاذ أحمد التوفيق (ص51).

ثم يأتي من الباحثين المؤرخين المعاصرين الدكتور عبد الهادي التازي فيقرر أن شاكرا صاحب الرباط صحابي تام الصحبة، وذلك في كتابه الذي نشره قبل أقل من خمس سنوات تحت عنوان «رحلة الرحلات: مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة»، فقد قال في بدايته: «وتعود مرويات التاريخ المغربي إلى أول وفادة توجهت منذ الأيام الأولى لظهور نبي الإسلام إلى مكة المكرمة للاجتماع به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يهاجر إلى المدينة المنورة، ويتعلق الأمر بجماعة تتألف من سبعة رجال من قبيلة رجراجة أشرف قبائل مصمودة كان شاكر بن يعلى بن واصل على رأسها، وعن طريق الوفادة سمعت بلاد المغرب بالإسلام أول الأمر على ما ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيثي السوسي المتوفى سنة 1089هـ - 1672م»[1].

وهكذا يعيدنا الدكتور التازي إلى الأطروحة الرجراجية، ولكن بنبض جديد أقوى من اعتباره صاحبا فقط لعقبة، بل بوصفه أحد رجال رجراجة السبعة، وذلك ما لم يقله رجراجة في شيء مما كتب عن شاكر وعنهم.

ومهما يكن فإن مصدر كل هذه الهالة الهائلة التي تحيط بـ«رباط شاكر» وصاحبه إنما هو باعتباره من أصحاب عقبة بن نافع فاتح المغرب؛ إذ لو كانت أطروحة صحبة رجراجة هي أساس ما له من هالة وما أصابه قديما وحديثا إلى يومنا هذا من موصول العناية، لكان كبار رجال رجراجة السبعة أحق بذلك منه، أو على الأقل لكان أبوه المزعوم يعلى بن مصلين أولى بأن يصرف إليه ما يصرف إلى ولده.

وحتى العناية به في إطارها الرسمي اليوم إنما تقوم على اعتبار صحبته لعقبة بن نافع رضي الله عنه، وهكذا تقدمه وسائل الإعلام من خلال التغطية الإعلامية التي تصاحب مهرجانه الصوفي الرمضاني كل عام برباط شاكر المعروف.

---

(1) انظر رحلة الرحلات: مقدمة الجزء الأول، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: 1426هـ 2005م.

❁ مسجد عقبة برباط أكوز المنسوب إلى رجراجة بضواحي آسفي.

وصف صاحب «الاستبصار» هذا الرباط بقوله: «من بلد رجراجة، وهو من آخر مراسي سواحل المغرب مما يقرب من بحر المحيط»(1).

أما صلة هذا الرباط بعقبة فتحدث عنها غير واحد، ومنهم العلامة عبد الكبير بن عبد الكريم الشاوي في كتابه «العيون المرضية في ذكر مفاخر الطائفة الرجراجية»، وقد أورد خبره في سياق الدفاع عن صحبة رجال رجراجة السبعة للرسول ﷺ، وذكر أنه «لما قدم عقبة بن نافع الصحابي إلى فتح المغرب، وصل إلى بلاد رجراجة، فوجدهم مسلمين موحدين، يعبدون الله مجتهدين في الدين، فبنى لهم مسجدا في ساحل حربلة يسمى بـ «أكوز»(2).

❁ موضع وقوف عقبة في أسفي ورمزيته عند الآسفيين.

لا يُعرف بالتعيين الموضع الذي وقف فيه عقبة حين وصل إلى مدينة آسفي التاريخية، ولكن كتب التاريخ تشير باتفاق إلى وقوفه على ساحلها ـ كما تقدم ـ وتوجهه إلى الله معتذرا بحيلولة لجج البحر بينه وبين المضي في الفتح. يقول العلامة الكانوني العبدي في كتابه «علائق آسفي ومنطقتها بملوك المغرب» ناقلا عن مصادر ذكرها: «ثم إن عقبة لما قضى هذا الغرض، ونادى به الحق المفتَرَض، وأسلم على يديه العباد، وتشرَّفت بمقدمه هذه البقاع والبلاد، ولم يبق له فيها منازع، ولا معاند ولا مدافع، وهمَّ

---

(1) الاستبصار (ص207).

(2) نقله الرجراجي في السيف المسلول (ص48)، ومحمد السعيدي الرجراجي في كتابه «رجراجة وتاريخ المغرب» (ص16ـ 17)، ويقارن بما ذكره د. حسن جلاب في كتابه الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب (ص6 ـ 12).

بالانصراف، قصد بحر بلاد آسفي كما للشطيبي في «الجمان» والورتيلاني في رحلته «نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار» وغيرهما، فأدخل قوائم فرسه في البحر ووقف ساعة...» وذكر الكانوني نحوا مما تقدم من دعائه واعتذاره إلى ربه عز وجل[1]. وذكر مثل هذا في كتابه «جواهر الكمال»[2]، ومثله في الاستقصا للناصري[3].

وقد اعتنى الآسفيون بهذا الخبر عن وقوف عقبة على ساحل آسفي، واعتبروه من فضائل هذه المدينة، وترجم محمد الكانوني العبدي لعقبة في «جواهر الكمال» وغيره من كتبه باعتباره من أعيان الأعلام الذين ينتمون إلى آسفي بالحلول في بعض سواحلها، كما تميّز سكان آسفي بإطلاق اسم عقبة على عدد من المؤسسات إحياء لذكراه وتنويها بصلته بالجهة، ومن ذلك تسمية مستشفاها القديم بـ «مستشفى عقبة ابن نافع»، وإطلاق اسم عقبة على عدد من المدارس الرسمية والخصوصية. على أن إطلاق اسم عقبة على مثل هذه المؤسسات أمر مشترك بين الحواضر المغربية مثل الدار البيضاء والرباط والقنيطرة ووجدة وغيرها، ومن الطريف أن إحدى المدارس الابتدائية في القنيطرة تسمى «مدرسة عقبة» وكان مديرها أيضا يسمى «عقبة»، وربما تقاعد الآن. وأطرف من هذا أني وجدت أحد شيوخ الإمام أبي القاسم بن جبارة الهذلي(ت465هـ) صاحب كتاب الكامل في القراءات يسمى «عقبة المستجاب»، وهو من قراء بسكرة القريبة من قرية سيدي عقبة التي فيها ضريح «عقبة المستجاب» بالجزائر. ذكر ذلك الحافظ ابن الجزري في كتاب غاية النهاية في طبقات القراء[4].

(1) علائق آسفي (ص7 ـ 8).
(2) جواهر الكمال (2/ 36).
(3) الاستقصا (1/ 82).
(4) انظر غاية النهاية (2/ 398 ـ 400) ترجمة رقم 3929.

ومن دلائل شغف الآسفيين بالصحابة الكرام والتعلق بآثارهم هذا الحديث الذي رواه الصحابي الوحيد الذي ذكروا أنه دخل بلاد الأندلس عند فتحها، وهو المعروف باسم المنيذر الإفريقي، وقد تقدم ذكر الحافظ الأبار له نقلا عن ابن حبيب أنه الصحابي الوحيد الذي دخل الأندلس في جملة الفاتحين. أما حديثه فقد رواه عالم آسفي في القرن السابع الهجري أبو علي الماجري شيخ المؤرخ الشهير ابن عبد الملك المراكشي صاحب كتاب «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة»، وقد روى عنه ابن عبد الملك في كتابه.

وقد ترجم للمنيذر الإفريقي ﷺ وقال: «له صحبة، دخل الأندلس فيما ذكر عبد الملك بن حبيب، حكاه عنه الرازي. وقال أبو سعيد بن يونس: له صحبة. قال ابن عبد الملك: وحديثه هو ما حدثناه الحافظ أبو علي الماجري سماعا إن لم يكن قراءة بثغر آسفي حماه الله قال: حدثنا الأسعد عبد الرحمن بن مقرب التجيبي...»، ثم ذكر السند به إلى أبي عبد الرحمن الحبلي عن المنيذر صاحب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، فأنا الزعيم، فلآخذن بيده، فلأدخلنه الجنة»[1].

ولقد حفزني تعلق أهل مدينة آسفي بعقبة - وهي دار إقامتي - فكانت مشاعري نحو عقبة ﷺ حاضرة كلما أنشأت كلمة أو نظمت قصيدة في مناسبة من المناسبات تتعلق بآسفي أو غيره مما لعقبة ﷺ ارتباط بوصول حملته إليه، مما ظل مبعث إيحاء للأدب والأدباء. وقد جعلته في قصائد لي عديدة جزءا من تاريخ البلاد، ورمزا من رموزها الخالدة. ومن ذلك قولي في قصيدة لي تحت عنوان: «آسفي الأصالة والعصر»:

---

(1) الذيل والتكملة: المجلد الثامن - القسم الثاني (ص 379).

هـــذه آســـفي الأصـــالة والعـــصـ ـــــر جميعـــا والمحتـــد اليعـــربي
الحـــصون الـــتي تـــراهن والأســـ وار والقــــصبات فيهـــا الدوي
تمـرح الـصافنات في سـوحها الفـ ـيـح ويـسطو الحـسام والـسمهري
والقـلاع الـشداد في منـتهى الطـر ف على هامهـا الغمـامُ الـرخي
شاهداتٌ مـن عهـد عقبـة أو مـن عهـد يعقـوب والهتـافُ العـلي
يتــداعى الله أكــبر والفــت حُ وجلجـل صـوتها العـربي
وتعالـت صـيحات عقبـة حـتى مـلأ الكـون سرهـا الأبـدي
واشرأبّــتْ مــاذن وتنــاجى بالمثـاني مـن كل أفـق نـجي[1]

وكان لعقبة عندي حضور أيضا في قصيدة لي عن صحرائنا المغربية في إحدى ذكريات المسيرة الخضراء حيث قلت فيها تحت عنوان «ملاحم العودة»:

قبّـلْ ثراهـا فهـو قـدسٌ أطهـر وانـشُق شـذاها فهْـو مـسكٌ أذفـر
واسـجُدْ لربـك واقـترب متبـتّلا إمـا أضـاء لـك الجنـابُ الأنـور
هـذي ديـار بـني أبيـك كعهـدها بالباقيـات الـصالحات تعمَّـر
صيحاتُ عقبـة في مـسامع أرضـها والله أكـبر فوقهـا تتكـبّر
وكـأن صـولةَ تاشـفين ونجلـه وخطـا ابـن ياسـين بهـا تتخطّـر
وكأنمـا لمتونـة لمتونـة وجنودهـا وحـشودها تتحـدّر
وكأنَّ «مـا العينـين» عنـد سمـارة وجيـاد «هيبـة» في الـوغى تتمطّـر
صـور تمثـل للعيـان مـواثلا حـتى تكـاد مـن التـألق تَبهَـر

---

(1) ديوان شعري مخطوط.

لـــو تـــورق الأمجـــاد في أنجادهـــا لأظلنـــا منهـــا الوريـــف الأزهـــر
صـــحراؤنا وبكـــل نبـــع كـــوثر وبكـــل ريـــع للمـــشاعر عَبقـــر
حــصباء تربتهـــا شـــذور زبرجـــد وحجـــارة «الـــوادي المـــذهب» مرمَـــر
أزهى مـــن الأزهـــار نفحـــة شـــيحها وأحـــب مـــن عَبَـــق الريـــاض الـــسعتَر
صـــــحراؤنا وتقـــــول كل ثنيـــــة صـــــحراؤنا فوجودنـــــا يتعطـــــر
همنـــا بهـــا وديارهـــا مـــاسورة ونحبهـــــا وترابهـــــا يتحـــــرر
وطـــن بـــه وشـــجت نيـــاطُ قلوبنـــا إنـــــا بكـــــل شـــــعابه نتـــــأصَّر
هذي العيون من «العيون» سـوادها ومـــن «الـــسمارة» جـــاء هـــذا الأســـمر
ومعـــاطس الخـــيلاء مـــن «ســـاقية حمـــراء» والوجـــه الجـــريء الأقمـــر
و«أبو الجـذور» بـه نبـات جـذورنا عـــرب تؤلفنـــا الدمـــاء وبربـــر
وبـدارة «الـوادي المـذهب» دورنـا وخيامنـــا فـــبكل شِـــعبٍ مـــدشر
من عهد «حنَّـا بعـلَ» أو «فينيقيـا» أو مـــا تـــشاء وعهـــدنا لا يخفَـــر
فاسـأل بنـا في «الأطلـسي» مراكبـا ومواكبـــاً،إن الـــشطوط تخـــبِّر
أولم يقـف عنـد الـسواحل عُقبـةٌ وصـــحابُه والفـــتح مـــاضٍ يظهـــر
وسـل الأطـالس مـن توقَّـل هامَهـا بالمـــذكيات العاديـــات تزمجـــر
واسـأل بـني الهيجـاء «باعمرانـةٍ» ووُلاتَهـــا وقـــضاتَها مـــا حـــبَّروا
كـــم بيعـــة معقـــودةٍ وزيـــارة مـــشهودة وظهـــائرٍ تتكـــرر
ووثـــائقٍ مـــن آل ســـعدٍ حيـــة وبـــني علي بالحقيقـــة تجهـــر
وقـــصائدٍ لابـــن الأمـــين أمينـــة بوثـــائق العهـــد العهيـــد تُـــذكِّر
صـــحراؤنا لـــو زوَّروا تاريخهـــا أنفـــتْ وقائعـــه فباتـــت تـــزأر[1]

(1) والقصيدة طويلة أنشأتها في ذكرى المسيرة الخضراء في 5 نوفمبر1981م.

ومما قلته من قصيدة أخرى في تكريم بعض قراء آسفي بعنوان «منبت الأمجاد»:

يامنبت الأمجاد يا أسفي العلا	لله كم أنجبت من عملاق
كم صالح كم راسخ في علمه	كم فارس كم قارئ دقاق
كم قائد دان الزمان لبأسه	صان الحمى بالسيف والمزراق
هذي قلاع المجد في سطواتها	وقلائد الأسوار كالأطواق
وملاحمٌ من عهد عقبة لم تزل	آثارها تنبيك عن مصداق

ولم تقف آثار عقبة رضي الله عنه بالنسبة لفتح المغرب على ما بث فيه من دعوة الإسلام وأقام فيه أو أقيم باسمه تبركا به ووفاء لذكراه من مشاهد ومساجد ورباطات، وإنما خلّف في المغرب من أولاده وأحفاده رجالا أفذاذا واصلوا السير من بعده في كل اتجاه في ترسيخ قيم الإسلام في المنطقة والعمل على استتباب الأمن، والتصدي للنحل والمذاهب الزائغة، والسعي إلى توثيق الصلات مع قاعدة دار الخلافة في المشرق، وتقديم العون للولاة والمشاركة في إدارة البلاد، واستكمال الفتوحات، وفي المبحث التالي نتعرف بإيجاز على آثار عقبة في المنطقة من خلال خلفائه من ذريته، وما كان لهم في المغرب والأندلس وغيرهما من منزلة وآثار نعتبرها جميعا ناشئة عن هذا الصدى البديع الذي خلفه عقبة من ورائه فكان من عوامل الشهرة والمكانة العلية التي نالها آل عقبة من بعده، وكانت له لسان صدق في الآخرين.

المبحث التاسع: آل عقبة في المغرب والأندلس وآثارهم في صنع الأحداث

واكب هذا الصدى الهائل الذي كان لعقبة في إفريقية والمغرب الأقصى صدىً مماثل لا يقل عنه شأنا لرجال من أولاده وأحفاده وبنيهم، وما كان لهم من شخصيات وازنة كانت لها آثار بارزة في القيادات، ومبادرات في الوقائع وصنع الأحداث، مما نبه عليه غير واحد من العلماء والمؤرخين، وتفصيل ذلك مذكور عند الرقيق القيرواني في تاريخه والبيان المغرب لابن عذاري وغيرهما. وأكتفي هنا بالإشارة إلى أهم الأشخاص من آل عقبة، وأهم الأحداث التي برزوا من خلالها:

1. **أبو عبيدة واسمه مرة بن عقبة بن نافع الفهري**

قال المالكي في ترجمته في التابعين في «رياض النفوس»: «كان له فضل ودين، روى عن ابن عمر وغيره، وروى عن أبيه عقبة بن نافع، وروى عنه عبد الكريم بن الحارث وموسى بن أيوب، دخل إفريقية مع أبيه عقبة، وشهد معه بعض مغازيها»[1].

وتتجلى مكانته العلمية ومكانة عقبة بن نافع رضي الله عنه في نازلة فقهية شبيهة بنازلة عثمان رضي الله عنه في تتميمه للصلاة في أيام منى خشية أن يظن الأعراب ممن شهد موسم الحج أن الصلاة هكذا في جميع الأيام. قال المالكي في رياض النفوس: «روى ابن وهب في موطئه يرفعه عن أبي عبيدة قال: كنت مع أبي عقبة بن نافع بإفريقية فقصر الصلاة في أسفاره سنة أو سنتين حتى كتب إليه معاوية بن أبي سفيان فعزم عليه ليُتمَّنّ. قال المالكي: وإنما التزم معاوية في ذلك فعل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما؛ لأن عثمان أتم الصلاة بمنى»، وساق القصة[2].

---

(1) رياض النفوس (1/ 150 ـ 151) ترجمة 66.
(2) نفسه (1/ 150 ـ 151).

2. **عياض بن عقبة بن نافع الفهري.**

ترجم له أيضا المالكي في «الرياض» وقال: «كان من جلة التابعين وفضلاء المومنين، يروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره من الصحابة والتابعين. روى عنه يزيد ابن أبي حبيب وإسحاق بن أبي فروة وأخوه أبو عبيدة بن عقبة ـ بن نافع ـ سكن إفريقية وأوطنها، وكان مع والده عقبة في حياته وبعد وفاته، ثم انتقل في آخر عمره إلى مصر فسكنها وأوطنها، وتوفي بها في سنة 100 من الهجرة..»، ثم ذكر بعض أخباره ومنها «عن عياض بن عقبة الفهري أنه مات له ابن يقال له «يحيى»، فلما أنزل في قبره قال رجل: والله إن كان لسيد الجيش، فعليك باحتسابه، فقال عياض: وما يمنعني أن أحتسبه، وقد كان أمس من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات»[1].

3. **موسى بن عقبة بن نافع.**

4. **عثمان بن عقبة بن نافع.**

وقد شارك هؤلاء الأربعة في جيش موسى بن نصير، كما شاركوا في الانتقام من قتلة والدهم عقبة، قال ابن عبد الحليم في كتاب «الأنساب» في حديثه عن موسى بن نصر: «فوصل إلى سجلماسة ووجد عندها كتامة، ووجد صنهاجة على مدينة سجومة، فقتل ملكهم على وادي ملوية، وحمل من مدينة سجومة بنات كسيلة وبنات ملوكهم، وكان مع موسى بن نصير أولاد عقبة بن نافع: عياض بن عقبة وموسى بن عقبة وعثمان بن عقبة وأبو عبيدة بن عقبة، فلما صحت الهزيمة على أهل سجومة قال لهم موسى بن نصير: اقتصوا من قتلة أبيكم..»[2].

---

(1) رياض النفوس (1/ 133) رقم الترجمة 50.
(2) الأنساب (ص 96 ـ 97).

5. **عبد الله بن عقبة.**

ولعقبة ولد خامس يدعى عبد الله، وله ذكر في جهاد الروم في المشرق فيما كان يعرف بالصوائف، وكان منطلقها من دار الخلافة بالشام ومن مصر، وقد أشار إليه ابن خلدون في تاريخه عند ذكر الصوائف في الدولة الأموية فقال في حوادث سنة 110هـ: «وغزا سنة عشر بالصائفة عبد الله بن عقبة الفهري، وكان على جيش البحر عبد الرحمن ابن معاوية بن حديج»[1].

6. **عبدة بن عقبة.**

وهو الابن السادس لعقبة، جاء ذكره في سياق الحديث عن مقتل ولده عيسى بن عبدة ابن عقبة عند خروج الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة عن طاعة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بالمشرق، وسيأتي ذكره عند الكندي في كتاب الولاة والقضاة[2].

❁ ظهور آل عقبة في غمار الأحداث في مصر ودار الخلافة بالمشرق

وكان ظهور آل عقبة إلى جانب ولاة بني أمية في المغرب والأندلس انطلاقا من القيروان بعد أن كانت لهم مشاركة في الفتح الأول كما تقدم فيما ذكرناه من مشاركة كل من أبي عبيدة وعياض لوالدهما عقبة بن نافع في ذلك. ثم كان أول ظهور لهم بعد موت يزيد بن معاوية سنة 64هـ، وهو ظهور يدل على أنهم ظلوا ممسكين بزمام المبادرة بعد استشهاد والدهم عقبة، واستشهاد خلفه من بعده زهير بن قيس البلوي، ويدل على ذلك ما كان منهم من المسارعة إلى بيعة الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير

---

(1) تاريخ ابن خلدون (ص672).

(2) انظر الولاة والقضاة للكندي (ص96).

بمكة حين مبايعة أهل الحرمين لـه بالخلافـة. وقـد أشـار إلى ذلـك أبـو عمـر الكنـدي في كتاب «الولاة والقضاة» فقال في حوادث سنة 64هـ: «ولحق بابن الزبير ناس من أهل مصر، **منهم أبو عبيدة وعياض ابنا عقبة بن نافع بن قيس الفهري**»[1].

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز بالشام في حوادث سنة 101هـ يذكر الكنـدي عمـاله على مصر فيقول: «وكان على أهل مصر أبو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري»[2].

7. **نافع بن أبي عبيدة بن عقبة.**

وفي خلافة هشام بن عبد الملـك مـن الأمـويين، يـذكر الكنـدي أيـضا في كتابـه في حوادث سنة 118هـ أن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري كان على بحر أهل مصر[3].

8. **الأسود بن نافع بن أبي عبيدة**

وفي خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين بالمشرق، وبسبب سريان الضعف إلى دار الخلافة بعد ظهور العباسيين بالعراق وخراسان، كان الأسـود بـن نـافع حفيـد أبي عبيدة الفهري مـمن انشق عن الأمويين، فيذكر الكندي في كتاب «الولاة والقـضاة» في حوادث سنة 132هـ أول من سوّد ـ أي لبس السواد الذي هو شعار دولة بني العبـاس فيقول: «وأول من سوّد هناك ـ يعني بمصر ـ شرحبيل الكلبي الزهيري، ولحق الأسـود ابن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري بالإسكندرية فسوّد بها»[4].

(1) الولاة والقضاة (ص40 ـ 41).
(2) نفسه (ص68 ـ 69).
(3) نفسه (ص79).
(4) نفسه (ص95).

9. عيسى بن عبدة بن عقبة

ومن أحفاد عقبة في مصر أيضا عيسى بن عبدة بن عقبة، ويذكر الكندي في كتابه أن مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين لما بلغه أن الأسود الفهري خرج عن طاعته بالإسكندرية واتخذ شعار العباسيين، بعث إليه بعض قادة جيشه «فالتقوا في ذي القعدة سنة 132هـ، فقتل عيسى بن عبدة بن عقبة بن نافع»[1].

ولما ظهرت دعوة العباسيين وبويع لأبي العباس السفاح بالخلافة، وورد كتابه إلى أهل مصر مع واليه عليها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس سنة 133هـ قال الكندي في كتابه: «فخرج صالح معه برجال من أهل مصر صحابة لأمير المؤمنين أبي العباس، ومنهم الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري...»[2]. كما ذكر الكندي إجازة الخليفة لوفادة الأسود الفهري بأن أقطعه «منية بولاق» و«منازل زبان» بالإسكندرية[3].

وهكذا دخل آل عقبة بفروعهم مصر تحت إمارة بني العباس، والتزموا بالطاعة لهم، ولكن الأحوال سرعان ما تغيرت حين استبدّ أبناء فارس بالمناصب والقيادات، فلم يقبل بذلك آل عقبة من آل فهر القرشيين.

10. عبدوس الفهري من آل عقبة.

ويذكر الكندي في كتابه في حوادث سنة 216هـ في خلافة المامون العباسي أن أهل الإسكندرية خالفوا على الوالي، فنزل عليهم الأفشين قائد جيش المامون، قال:«واجتمعوا بأشليم، وعقدوا عليهم لابن عبدوس الفهري من ولد عقبة بن نافع،

---

(1) الولاة والقضاة (ص96).
(2) نفسه (ص101).
(3) نفسه (ص101).

فواقعهم الأفشين بأشليم، فهزمهم وأسر منهم كثيراً فقتلهم». ثـم إن الخليفـة المــامون قدم بنفسه إلى مصر سنة 217هـ وأمعن في طلب ابن عبدوس الفهري، وتبعه الجيش إلى صعيد مصر حيث ظفر به فقتله[1].

ومن هذا التاريخ تختفي أسمـاء «آل عقبـة» مـن القيـادة في مـصر والمـشرق، غـير أن الحافظ ابن حجر يذكر في الإصابة أن «من ولد عقبة بمصر والشام وإفريقية بقية»[2].

⊛آل عقبـة في المغرب.

وكانت معرفة «آل عقبة» للمغرب بسائر أقطاره وصلاتهم بأهله نابعة من اطلاع تـام على أحوالهم وخبرة بالبلاد ومـا تـمهد فيها من آثار الفتح الأول على يد والدهم عقبـة ومن معه من الصحابة والتابعين؛ ولذلك ظـل لهـم وجـود فاعـل سـواء في القيـادات استقلالا أم في شد أزر الولاة المتعاقبين عليه أثناء عهد الولاة قبل فتح الأندلس وبعـده في خلافة الأمويين.

ولعل أول حـملة كان لهم فيها وجود مكثف هي حملة موسـى بـن نـصير الـذي ولي إفريقية والمغرب ولايته الأولى كمـا ذكره خليفة بن خياط والطبري وغيرهمـا سنة تسع وسبعين[3]، أي بعد نحو خمسة عشر عامـا من استشهاد عقبة. ثم غزا موسى بن نـصير السوس الأقصى في خلافة الوليـد، ووجـه مـولاه طارقـا فـأتى طنجـة وعـبر منهـا إلى الأندلس فاستولى على أكثرها سنة 92هـ، ثم عبر إليها موسى بن نصير فاستكمل الفتح سنة 93هـ و94هـ، ورجع إلى المشرق[4]. ويظهر أن رجال بيت عقبة بن نـافع كـانوا مـع

---

(1) الولاة والقضاة (ص192).

(2) الإصابة (3/ 81).

(3) انظر تاريخ خليفة بن خياط (ص298)، وتاريخ الطبري (5/ 245).

(4) تاريخ خليفة (ص304 ـ 306).

ابن نصير طوال عهد ولايته، كما دخل معه بعضهم الأندلس عند الفتح، وبقي بها عونا لواليها كما سيأتي.

وقد ذكر الحميري الأندلسي في «الروض المعطار» عياض بن عقبة الفهري في طليعة من دخل الأندلس من التابعين[1]. ثم تقاسم آل عقبة في بداية الفتح النفوذ في المغرب والأندلس، وإن لم تكن الولاية لهم في البداية من تقليد الخلفاء.

وقد أحسن العلامة الناصري في الاستقصا تلخيص أخبارهم في فصل عقده فيه تحت عنوان «الخبر عن تغلب آل عقبة بن نافع على المغرب وولاية عبد الرحمن بن حبيب منهم» فقال في ذلك: «كان عقبة بن نافع الفهري ﷺ واليا على المغرب كما مر، وهو الذي افتتح الأقصى منه، ولما استشهد بالزاب بقي بنوه به، **فكانت لهم وجاهة معروفة بين أهله** لمكان أبيهم عقبة من جهاد العدو، وما فتح الله على يده من الأقطار، واختطاطه مدينة القيروان التي هي كرسي الإمارة، فكان ما منح الله أهل المغرب من الإسلام والدين كله في صحيفته، **فنالوا بذلك شرفا خاصا، زيادة على شرف القرشية وعز الفهرية، فكان يكون لهم الشفوف في بعض الأحيان حتى على الولاة فضلا عن غيرهم**»[2].

فكان من رجال «آل عقبة» أثناء فتح الأندلس غير عياض بن عقبة الآنف الذكر:

11. حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة

ويدل على نفوذ حبيب بن أبي عبيدة في الأندلس عقب الفتح ما في كتاب الرازي ـ من مؤرخي الأندلس القدامي ـ ونقله ابن عذاري في «البيان المغرب» ونصه: «أن

(1) انظر صفة جزيرة الأندلس: منتخبة من كتاب الروض المعطار (ص 4).

(2) الاستقصا (1/ 116).

الوليد ـ يعني ابن عبد الملك الخليفة الأموي ـ بعث إلى موسى ـ بن نصير ـ رسولا، فأخذ بعنان دابته ـ يعني بعد فراغه من الفتح ـ وأخرجه من الأندلس، ومعه طارق بن زياد ومغيث مولى ابن نصير. وخلف موسى ابنه عبد العزيز بن موسى على الأندلس»، قال: «وأبقى معه وزيرا **حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع**»[1].

وتتفق المصادر على أن موسى بن نصير رجع إلى المشرق، وأن ابنه عبد العزيز خليفته على الإمارة بالأندلس أساء فيها السيرة، وقيل: لأنه خلع دعوة بني أمية واستبد بأمره لما بلغه ما فعله سليمان بن عبد الملك بأبيه، فلما كانت سنة 97 من الهجرة ثار به حبيب بن أبي عبيدة الفهري وزياد بن عذرة البلوي وجماعة فقتلوه بمدينة إشبيلية، وقيل: إن ذلك كان بأمر الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، نكاية منه بموسى بن نصير الذي اتهمه في غنائم فتح الأندلس، وامتحنه على ذلك[2].

ثم تتابع ولاة بني أمية على الأندلس، ولكن غلبة العصبية القبلية ما بين العرب والبربر من جهة، وبين عرب الشام واليمن وغيرهم من عرب مضر، عصفت بالاستقرار فيها، لا سيما بعد تضعضع أركان خلافة الأمويين بدمشق في العقد الثالث من المائة الثانية. فلما كانت سنة 128هـ واتسع الخلاف ما بين أهل هذه العصبيات «تراضوا واتفقوا على واحد من «آل عقبة بن نافع» وهو:

12. يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة الفهري

قال المقري في نفح الطيب: «وقدّم المضريّة على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة تسعٍ وعشرين» يعني ومائة[3]. وقد اتفق جمهور العرب بالأندلس على

(1) البيان المغرب (2/ 16).

(2) انظر جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي (ص 13) والبيان المغرب (2/ 34 ـ 35) ونفح الطيب (10/ 224).

(3) نفح الطيب (1/ 227).

توليته عليهم بعد اعتراض عليه من اليمنية وقتالهم له، ثم صفت له الأندلس. قال ابن عذاري في «البيان»: «وولي يوسف عن رضاً من عامة الجند من مضر ويمن والشام، فصفت له الأندلس بعد يوم «شقندة»، وخلصت له القلوب والأنفس»[1].

فكان يوسف أميرا على الأندلس بعد سقوط دولة بني أمية بالمشرق وتحول الخلافة إلى العباسيين، إلى أن دخل الأندلس صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك، فانحاز إليه اليمنية، وقوي أمره ولم يزل يطاول يوسف الفهري بالقتال إلى أن انتزع منه إمارة الأندلس، وبويع له بقرطبة سنة 138هـ[2]. وباستيلاء عبد الرحمن الداخل على الأندلس لم يعد لآل عقبة ذكر في القيادة، ولكن فروعهم كان لها صيت وذكر كما للفهريين عموما بالأندلس. وقد ذكر ذلك ابن غالب الأندلسي ـ صاحب مطمح الأنفس ـ ونقل عنه أبو العباس المقري في «نفح الطيب» قوله في ذكر أنساب عرب الأندلس: «وفي الأندلس من ينسب إلى جمح وإلى بني عبد الدار، وكثير من قريش المعروفون بالفهريين من بني محارب بن فهر، وهم من قريش الظواهر، ومنهم عبد الملك ابن قطن سلطان الأندلس، ومن ولده بنو القاسم الأمراء الفضلاء، وبنو الجد الأعيان العلماء. ومن بني محارب بن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهري سلطان الأندلس الذي غلبه عليها عبد الرحمن الأموي الداخل، وجد يوسف: عقبة بن نافع الفهري صاحب الفتوح بإفريقية»، ثم قال: «قال ابن حزم: «ولهم بالأندلس عدد وثروة»[3]. وقال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب:«أولاد عقبة لهم في المغرب عقب كثير»[4].

---

(1) البيان المغرب (1/ 154).
(2) انظر جذوة المقتبس (ص15)، ونفح الطيب (1/ 277).
(3) نفح الطيب (1/ 277).
(4) نقله الكانوني في علائق آسفي (ص9).

قلت: ومن أعلامهم في الأندلس من رؤسائها في عصر الإمام ابن حزم المذكور من ذرية يوسف الفهري أمير الأندلس:

13. **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم**

صاحب «البونت» هكذا نسبه ابن حزم إلى ولايته، وهي من أعمال بلنسية استقل فيها بنو قاسم الفهريون بعد الفتنة في رأس الأربعمائة وأولهم:

14. **عبد الله بن قاسم**

والد محمد هذا، قد استقلوا بهذه الإمارة بعد انحلال دولة بني أمة في الأندلس في جملة ما يعرف «بملوك الطوائف»، فكانت لهم إمارة «بني قاسم» بألبونت[1].

وقد ترجم الحافظ ابن الأبار في «التكملة» لمحمد بن عبد الله وذكر نسبه إلى:

15. **قاسم بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري**

أمير الأندلس، كما ذكر أن محمد بن عبد الله المذكور يلقب «بيمن الدولة»، قال: «وكان رئيسا بـ «قلعة ألبونت» من أعمال بلنسية مقر آبائه الرؤساء.. وله صنع أبو محمد بن حزم ـ وهو كناه ـ رسالته في «فضل الأندلس»، وأطال الثناء عليه وعلى سلفه رحمهم الله»[2].

---

(1) انظر أعمال الأعلام لسان الدين ابن الخطيب (ص208).

(2) انظر التكملة (1/ 313) ترجمة 1104، و«رسالة في فضل الأندلس لابن حزم» في نفح الطيب للمقري(4/ 157- 158)، ومجموعة رسائل ابن حزم (1/ 172- 178).

❁ **أولاد عقبة في طنجة والمغرب وإفريقية.**

أخّرنا هذا المبحث وكان الأحق بالتقديم، لأنه الأكثر اتصالا بموضوع عرضنا وموضع انعقاد الندوة، ولكننا قصدنا أن نجعل منه مسك الختام، لذكر آل عقبة الأعلام، وما كان لهم من الغناء في باقي الأصقاع المغربية في ترسيخ دولة الإسلام.

وسوف نتابع ذلك من خلال استعراض أسماء من بلغتنا أسماؤهم وسيرهم من ذرية عقبة كما فعلنا فيما تقدم من إخوانهم في المشرق والأندلس. ولقد قدمنا الحديث عن أبناء عقبة المباشرين ممن شهدوا عهد الفتح مع والدهم عقبة رضي الله عنه إلى أن استشهد كأبي عبيدة وعياض وعثمان، ونسوق فيما يلي أسماء الباقين. فمنهم:

16. **حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري.**

وقد دخل طنجة مع موسى بن نصير، وصحبه معه موسى في دخوله الأندلس، أو ربما دخلها مع طارق بن زياد أول الفتح، قد تقدم أن موسى بن نصير لما عزم على الرجوع إلى المشرق استخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز، وأنه جعل حبيب بن أبي عبيدة الفهري المذكور وزيرا له. وذكر ابن عذارى وغيره أن الكتب وصلت من سليمان بن عبد الملك إلى حبيب بن أبي عبيدة بقتل عبد العزيز نكاية بأبيه[1].

ثم برز ذكر حبيب الفهري مرة أخرى في ولاية عبيد الله بن الحبحاب على إفريقية والمغرب سنة 116هـ في خلافة هشام بن عبد الملك الأموي، قال الرقيق في تاريخه: «وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا إلى المغرب فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان، ولم يقابله أحد إلا ظهر عليه، وأصاب من الذهب والفضة والسبي أمرا عظيما، ولم يدع قبيلة إلا أداخها، فملئوا منه رعبا وخوفا....ورجع سالما

(1) البيان المغرب (1/ 51)، وانظر: تاريخ إفريقية والمغرب، للرقيق (ص 59- 60).

حتى قدم على ابن الحبحاب»[1]. وفي كتاب بلاد شنقيط للأستاذ الخليل النحوي لما تحدث عن أود أغست قال: «وهي عاصمة قديمة للصنهاجيين، وصل إليها حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع في حملته سنة 116هـ»[2].

قال الرقيق: «ثم غزا حبيب بن أبي عبيدة في البحر إلى صقلية، وذلك في سنة 122هـ، ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب، فلما نزل بأرضها وجه ابنه عبد الرحمن على الخيل فلم يلقه أحد إلا هزمه عبد الرحمن، وظفر ظفرا لم ير مثله، ومضى حتى نزل «سرقوسة» وهي أعظم مدينة بصقلية، فقاتلوه فهزمهم حتى ضرب بابها بالسيف فأثر فيه، فهابه النصارى ورضوا بالجزية، ثم توجه إل أبيه خوفا أن يخالفه العدو إليه»[3].

قال الرقيق: «وكان ابن الحبحاب قد ولى طنجة وما والاها عمر بن عبيد الله المرادي فأساء السيرة وتعدى في الصدقات والقسم... فلما بلغ البربر خروج حبيب بن أبي عبيدة إلى بلد الروم انتقضوا على عبيد الله بن الحبحاب بطنجة، وتداعت عليه بأسرها، وعظم البلاء، وذلك في سنة 122هـ، وهي أول فتنة كانت بإفريقية في الإسلام».

۞ ظهور ميسرة المدغري المعروف بالخفير من الخوارج واستشهاد بعض أولاد عقبة في «غزوة الأشراف».

قال الرقيق: «فعند ذلك خرج ميسرة المدغري وقام على عمر بن عبيد الله المرادي فقتله، وكان بالمغرب يومئذ قوم ظهرت فيهم دعوة الخوارج، وفيهم عدد كثير وشوكة، وهم برغواطة، فكتب عبد الله بن الحبحاب إلى ابن أبي عبيدة بالرجوع من صقلية، وولى:

---

(1) تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق (ص72- 73).

(2) بلاد شنقيط المنارة والرباط (ص66).

(3) تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق (ص72-73)، ونحوه في تاريخ ابن خلدون (ص676).

17. خالد بن أبي حبيب الفهري

على أشراف إفريقية ووجوههم وشخص إلى ميسرة، ووصل حبيب بن أبي عبيدة من صقلية، فعقد له ابن الحبحاب، وأمره أن يلحق بخالد، فتوجه حبيب في أثره، وسار خالد حتى عبر «وادي شلف»، وهو نهر في أرض البربر على ساحل من «تيهرت» - يعني بالجزائر اليوم - ثم قدم حبيب بن أبي عبيدة حتى نزل على وادي شلف، فأقام ولم يبرح، ومضى خالد بن أبي حبيب من فوره حتى لقي ميسرة دون طنجة، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله، ثم انصرف ميسرة إلى طنجة، وأنكرت عليه البربر سوء سيرته، وتغيروا عما كانوا بايعوه عليه، وقد بويع بالخلافة فقتلوه، وولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي. قال: فالتقى خالد بن أبي حبيب والبربر، فكان بينهم قتال شديد، فبينما هم كذلك إذ غشيهم ابن حميد الزناتي بعسكر عظيم، فتكاثرت عليهم البربر وانهزموا، فكره خالد أن ينهزم، فألقى بنفسه هو وأصحابه إلى الموت، فقتل خالد بن أبي حبيب وجميع من معه حتى لم يبق من أصحابه رجل واحد، وقتل في تلك الوقعة حماة العرب وفرسانها، وكماتها وأبطالها، فسميت الغزوة «غزوة الأشراف»[1].

هذه كانت نهاية هؤلاء الأبطال التي أعادت ذكرى مأساة استشهاد عقبة وأصحابه في «تهودة» في بلاد الزاب، إذ قتل فيها من الأخيار ما جعل الناس يسمون الوقعة بغزوة الأشراف، وتقوى بها أمر الخوارج الصفرية الذين سيكون لهم شأن حينما تتقوى ظهورهم بظهور متنبئ برغواطة صالح بن طريف في هذه الجهات ابتداء من هذا العهد بالذات.

---

(1) تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق (ص 73- 75)، ومثله في البيان المغرب (1/ 53-54).

وظل صدى «غزوة الأشراف» هذه سجلا لا ينسى في ذاكرة أهل طنجة فظلوا يتناقلون أخبارها، ويشاهدون آثارها، ولعل مشاهد أولئك الأشراف كانت معروفة في بعض الضواحي، وكانت تسمى «قبور أبناء الصحابة».

وقد بقيت ذكرى هذه المأساة حية في الأذهان حتى أوحت إلى الشاعر العلامة أبي فارس ابن الربيع الغرناطي في أواخر القرن التاسع أن يقول في قصيدة طويلة على لسان أهل الأندلس يستنجدون بالمولى علي الشريف جد السلاطين العلويين ملوك المغرب ليقوم بإنجادهم قبل سقوط ما تبقى في الأندلس من البلاد حيث يقول:

أيا راكبا يطوي المفاوز والقفرا رشدتَ ولُقِّيتَ السلامة والخيرا
ترحل وجِدَّ السير يوما وليلة وسافر تجدها في مطالعها زهرا
تحمل رعاك الله مني إلى الحمى تحية مشتاق تهيِّجه الذكرى
وأُمَّ ديار الحي من سجلماسّة فتلك ديار تجمع العز والفخرا

إلى أن يقول:

وقل يا أهيل القبلة السادة الألى إذا ما دُعوا في حادث أسرعوا النفرا
وخُص سليل الهاشمي ابن صهره علي الذي يعلو على زحل قدرا
أبا الحسن المولى الشريف الذي به على الغرب شمس النصر طبقت الصحرا
أغار على الأعلاج فاجتاح جمعهم وجَدَّ لهم قتلا وشردهم أسرا
بطنجة قد طاب الممات لزمرة بنصرتها ترجو من الملك الأجرا
دعاها بأقصى السوس قوم فأسرجوا من الصافنات الجرد لم يأخذوا الحذرا
فهبت ركاب القوم والشمسُ وأرهق جيش الله أعداءه خسرا

إلى أن يقول:

وأجـداث أبنـاء الـصحابة فوقهـا وكل ولي أشـعث لابـس طمـرا
تنـاديكم غوثـا مـن الله سرعـة فقد كاد أن يستأصل الكفـر ذا الـبرا
فعونـا رجـال الله عونـا لعـدوة أحاطت بها البأساء واشتدت الـضرا
فـأنتم لنـا الجنـد القـوي ونحـوكم تـشوُّفُنا فاسـتعجلوا نحونـا الـسيرا
ونثني على خـير البريـة ذي الهـدى محمـد المبعـوث بالملـة اليـسرى
وآل وصـحب ثـم تـال لنهجهـم ومن لذوي الإسلام قد قصد النصرا[1]

18. شعيب بن عثمان بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري.

وفي هذه الوقائع ظهر بطل آخر من أبطال آل عقبة في مقاومة الخوارج، وذلك في ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي الذي ولي إفريقية والمغرب لهشام بن عبد الملك سنة 124هـ، فلم يمكث حنظلة بالقيروان إلا قليلا حتى زحف إليه عكاشة الصفري الخارجي بجمع عظيم من البربر، قال الرقيق القيرواني في تاريخه: «فبرز إليه شعيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع.... ثم ذكر نهوض شعيب إلى قتال الخوارج وزعيمهم عكاشة حتى قتل بظاهر القيروان»[2].

19. عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري.

هذا هو الفارس والقائد الثامن عشر من آل عقبة، وقد مر بنا ذكر والده حبيب وجده أبي عبيدة بن عقبة، وهاهو عبد الرحمن بن حبيب في عام 127هـ يظهر في الميدان يحمل معه همة أسلافه أبناء المعارك ليعمل على توحيد المنطقة وإنقاذها من التدهور السياسي

(1) انظر القصيدة بتمامها في الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية للمشرفي (1/ 214).
(2) تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق (ص83 – 85).

والفراغ الإداري الذي يعصف بها بسبب ضعف مركز دار الخلافة بالشام، وبسبب الاضطرابات التي كانت لهذا العهد في البيت الحاكم، ثم أفضى إلى انهيار خلافة الأمويين، وقيام دولة بني العباس سنة 132هـ.

كان عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع - كما يقول الرقيق القيرواني - قد هرب من إفريقية إلى الأندلس عند هزيمة كلثوم بن عياض في الوقعة التي قتل فيها كلثوم ووالده حبيب بن أبي عبيدة في «غزوة الأشراف»، فلم يزل وهو بالأندلس يحاول أن يتغلب عليها فلم يمكنه ما يريد، إلى أن وجه حنظلة بن صفوان أبا الخطار إلى الأندلس، فخاف عبد الرحمن على نفسه، فخرج مستترا فركب البحر إلى تونس فنزل بها، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة 127هـ، فدعا الناس إلى نفسه فأجابوه... وأقبل عبد الرحمن بن حبيب حتى دخل القيروان... وكان عبد الرحمن قد كتب إلى مروان بن محمد - آخر الأمويين - وأهدى إليه هدايا، فكتب إليه مروان بولايته على إفريقية والمغرب كله والأندلس، وقتل مروان بن محمد وزالت دولة بني أمية، وعبد الرحمن وال على إفريقية، ثم وجه عبد الرحمن كتابا إلى أبي العباس السفاح - الخليفة العباسي بالعراق - بسمعه وطاعته وذلك سنة 136هـ، فلما كانت خلافة أبي جعفر المنصور جدد له عبد الرحمن البيعة على السمع والطاعة، ثم ما لبث أن رجع عنها وخلع شعار السواد الذي هو شعار بني العباس. قال الرقيق القيرواني: وهو أول سواد لبس بإفريقية، ثم وقع الخلاف بين عبد الرحمن وبين أخوين له وهما:

20. **إلياس بن حبيب بن أبي عبيدة.**

21. **عبد الوارث بن حبيب بن أبي عبيدة**، وانتهى الأمر بقتلهما لعبد الرحمن، وازداد الخلاف بين بقية «آل عقبة» بإفريقية، وكان من رجالهم.

22. **حبيب بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة، وعمه.**

23. **عمران بن حبيب بن أبي عبيدة.**

24. **عمر بن نافع بن أبي عبيدة.**

25. **الأسود بن موسى بن عبد الرحمن بن عقبة.**

ولما اشتد النزاع بينهم وتغلب عليهم إلياس شدهم وثاقا، ووجه بهم إلى يوسف بن عبد الرحمن بن عقبة في سفينة، وهو إذ ذاك والي الأندلس ـ كما قدمنا ـ فوصلوا إليه ولكن حبيب بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة هرب، ونفذ إلى القيروان، وكسر باب السجن وأخرج منه.

26. **سلام بن عبد الرحمن بن حبيب أخاه**، وجماعة من صنائع أبيه ومواليه، وكان مع إلياس.

27. **عمرو بن عثمان بن أبي عبيدة الفهري** وكان على ميمنته، وانتهى الأمر بقتل إلياس ودخول حبيب القيروان، وقتل مع إلياس من آل عقبة من بني عمومته:

28. **محمد بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع**، ثم كانت الثورة على حبيب من قبيلة نفزة وغيرها فقتل سنة 140 هـ[1].

وكان آخر من بقي بإفريقية من آل عقبة:

29. **عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع**، وكان قد لجأ إلى قبيلة كتامة، وما زال يتردد في الجهة حتى استولى بنو العباس على القيروان وإفريقية، وقامت فيها إمارة بني الأغلب القوية بعد عشرة السبعين ومائة

---

(1) انظر هذه الأحداث في تاريخ الرقيق (ص95 – 103)، والبيان المغرب(1/ 67 – 70).

على عهد الخليفة هارون الرشيد، وانتهى بذلك في المغرب وإفريقية دور بني عقبة الذي استمر في القيادة ومعمعان الأحداث قرابة المائة عام، ولله الأمر من قبل ومن بعد. وقد تعرفنا في قائمة «آل عقبة» على سبعة وعشرين من رجالهم، ونختم بذكر فرع آخر منهم ممن تخلف بعد عقبة خلال الفتح في الصحراء المغربية كما قدمنا، ومنهم:

30. **العاقب بن عقبة**. قال الأستاذ الخليل النحوي في كتابه «بلاد شنقيط المنارة والرباط» في حديثه عن الإسلام في الصحراء: «وتقول بعض الروايات إن عقبة بن نافع واصل سيره من السوس حتى وصل «ولاتة» قال الشيخ سيدي محمد ابن الشيخ سيدي المختار (ت1244هـ): وخلف عقبة ابنه العاقب بـ«سير» المدعوة الآن «ولاتة» وقبره بصحن مسجدها الذي هو بانيه. قال: ويعتقد أن قبيلة «اولاد تدرارين» الصحراوية منتسبة إلى صحابي أنصاري قدم مع عقبة». وفي سنة 116هـ قاد حفيد عقبة حبيب بن أبي عبيدة حملة إلى الصحراء بتكليف من عبد الله بن الحبحاب السلولي الموصلي والي هشام بن عبد الملك على المغرب، فنشر الإسلام بالسوس الأقصى ومسوفة في تخوم السودان»[(1)]. ويقول في موضع من كتابه تحت عنوان «الهجرة إلى البلاد»: «ومن الأمثلة المبكرة على هجرة الزوايا:

31. **سيدي علي بن سيدي يحيى** من سلالة عقبة بن نافع الذي كان يخرج من توات إلى المرابطين أيام دولتهم، وتزوج في **الصحراء** بنت محمد بن آلم بن كنت بن زم رئيس أبدوكل فولدت له ابنه:

---

(1) بلاد شنقيط: المنارة والرباط للأستاذ النحوي (ص30)، وهو ينقل عن «الرسالة الغلاوية» للشيخ سيدي محمد ابن الشيخ سيدي المختار الكنتي ـ (مخطوط).

32. **سيدي محمد الكنتي**، فنشأ في أخواله الصنهاجيين، وقفل سيدي علي إلى توات، وخرج سيدي محمد الكنتي إلى سبتة فأخذ فيها عن أبي العباس السبتي، ثم عاد فاستوطن الصحراء، ومعه تلامذته، وبها ولد له:

33. **سيدي أحمد البكاي** من أم جكنية[1].

❁ اكتشاف جديد وإضافة نوعية:

بينما أنا أعد لتقديم هذا البحث للطبع وفقنا الله تعالى لاكتشاف جديد في غاية الأهمية، وهو انتماء الشاعر القيرواني الشهير أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري الفهري نزيل سبتة والمتوفى بطنجة سنة 488هـ إلى عقبة بن نافع الفهري.

فبينما أنا أتصفح كتاب «منح الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية» لابن عظيمة العبدري الإشبيلي المطبوع مؤخرا بتحقيق الأستاذ الباحث الفاضل الدكتور توفيق العبقري وجدته يقول في تعليل نسبته «الفهري» معلقا عليها بما يلي: «نسبة إلى فهر بن مالك من قريش»، ثم يقول ـ وهو الاكتشاف القيم الجديد عندنا ـ: «وقد كان الحصري ينسب إلى عقبة بن نافع الفهري المستجاب الدعوة، قال فيه أحد بني بياع بطنجة يمدحه:

دعاءُ عليِّ بنِ عبدِ الغنيِّ ... فلا تظلموه دعاءٌ مُجاب
هو العَلَم الفردُ في علمه ... ومَن جدُّه (عقبةُ المستجاب)

ثم قال محققه: «انظر شرح الحصرية لابن مطروح: الورقة 5 ـ مخطوط القرويين»[2].

---

(1) بلاد شنقيط (ص98).

(2) منح الفريدة الحمصية :(ص31).

قلت: ولعله لهذا كان يضيف «الفهري» إلى نسبه اعتزازا بهذه النسبة لشرفها وصلته بعقبة بن نافع الفهري من خلالها. وقد ذكرها أيضا في قصيدته الرائية (الحصرية) في قراءة نافع، فقال في باب إدغام دال «قد»:

ودالَ قدْ أظهرْ لستة أحرف كما أظهرَتْ سرَّ الدجى طلعةُ البدر
بجيم ودالٍ ثم شينٍ وبعدها ثلاثُ الصفيرياتِ فافهم عن (الفهري)[1]

فهذه شخصية جديدة تضاف إلى قائمة آل عقبة الأماجد تبين مقدار هذه الأسرة والأثر البليغ الذي كان لها في الصدر الأول وإلى عهود متأخرة.

❀ **جذور نسب آل عقبة في بني الحارث بن فهر.**

ومن تمام الفائدة أن أورد جذر نسب عقبة بن نافع في بني الحارث بن فهر بن مالك الذي يلتقي فيه في هذا النسب العدناني الشريف مع رسول الله ﷺ كما ساقه الإمام أبو محمد بن حزم الأندلسي في جمهرة أنساب العرب، وفيه ذكر لبعض فروعه العلمية في مصر.

قال رحمه الله: «ومن ولد ضباب بن الحارث بن فهر بن مالك: هند بنت جابر بن وهب بن ضباب بن الحارث بن فهر، امرأة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. ومن بني الخلج - وهو قيس بن الحارث بن فهر - إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهذيل ابن الربيع بن عامر بن صبح بن عدي بن قيس، وهو الخلج بن الحارث بن فهر؛ وهو الشاعر ابن هرمة.

(1) القصيدة الحصرية (ص114) البيتان 103 - 104.

وولد الظرب عبد الله بن الحارث: عائش، وأمية. فمن ولد عائش بن الظرب: عبدالله بن عتبة بن أبي إياس بن الحارث بن عبد أسد بن حجر بن عمرو بن عائش بن الظرب بن الحارث بن فهر، ولي مصر لابن الزبير، وقتله مروان بن الحكم.

ومن ولد أمية بن الظرب: **نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب ابن الحارث بن فهر**؛ نخس بزينب بنت رسول الله ﷺ مع هبار بن الأسود؛ وابنه عقبة ابن نافع، الذي بنى قيروان إفريقية؛ وأخوه، عم عقبة: سعد بن عبد قيس، من مهاجرة الحبشة. فولد عقبة بن نافع: أبو عبيدة. فولد أبي عبيدة: حبيب، قاتل عبد العزيز بن موسى بن نصير؛ وعبد الرحمن بن أبي عبيدة بن عقبة؛ ونافع بن أبي عبيدة. فولد حبيب: عبد الرحمن، ولي إفريقية؛ وإلياس، وعبد الوارث. ولهم بإفريقية عقب كثير. وولد عبدالرحمن بن أبي عبيدة: يوسف، ولي الأندلس، وله بها عقب. وبالأندلس من فهر عدد عظيم.

ومن ولد نافع بن أبي عبيدة: المحدث بمصر أبو بكر محمد بن الحارث بن الأبيض ابن الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع المذكور، ومات سنة 344هـ، وهو في قعدد معاوية بن يزيد بن معاوية، ومات أبوه الحارث بن الأبيض سنة 276هـ، وهو في قعدد عبد الله بن عثمان أمير المؤمنين رضي الله عنه من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ»[1].

(1) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص181 ـ 182).

خاتمة المبحث:

فهؤلاء أكثر من ثلاثين قائدا من قادة الفتح الإسلامي من آل عقبة الذين عملوا في مصر وإفريقية والمغرب والأندلس والصحراء على نشر دعوة الإسلام وبناء دولته.

وقد أشار غير واحد من المؤرخين إلى بيت عقبة وانتشار ذريته في المغرب كما قال الإمام أبو محمد بن حزم في «جمهرة أنساب العرب»: «أولاد عقبة لهم في المغرب عقب كثير»، وتقدم قول الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الإصابة»: «ومن ولده بمصر والشام وإفريقية بقية»، وقال العلامة الكانوني بعد أن سمى بعض من ذكرناهم من أعيان ولده:«ومن عقبة بيت «آل الفاسي» بفاس، أوليتهم بالأندلس، وخرجوا منها إلى «القصر» لما استحوذ الإسبان على الأندلس، ثم من القصر لفاس، وهو بيت كبير تعدد فيه العلماء والصلحاء، وشهرتهم أغنت عن التعريف بهم. قال: ومن بني عقبة «آل سيدي المختار الكنتي» بالصحراء، وهم علماء صلحاء نفع الله بهم في تلك الأصقاع الصحراوية...»[1].

ولقد أبقى الله لعقبة، بسبب هذه الذرية الطيبة الكثيرة، صيتا ذائعا، ولسان صدق في الآخرين، كما كان لآل بيته الأثر البارز في إتمام مشروعه الكبير في فتح المغرب والأندلس، والتمكين لدولة الإسلام في أرجائه، والدفاع عن عقيدته السنية في وجه المذاهب الخارجية والنحل الزائغة، وهكذا كانت هذه الذرية الطيبة من بعده تمثل الاستمرارية لرسالته وتضحيته، لأنها سارت على نفس الدرب، إذ كانت هذه المرحلة في أمس الحاجة إلى قادة أكفاء ترعى مسيرة الفتح الفتية حتى تتعمق جذور الإسلام في هذه التربة القصية عن المركز الأول لدعوته، وهي ضرورة كانت قائمة بعد استشهاد

---

(1) كتاب علائق آسفي بملوك المغرب (ص9).

عقبة ومن معه من الصحابة تنتظر أمثالهم ليقوموا بسدها على نحو ما عبر عن ذلك الأستاذ الخليل النحوي في كتابه حين قال وهو يتحدث عن دخول الإسلام إلى الصحراء: «وحين وصل الفاتحون الأول عقبة وأبناؤه تركوا الإسلام وهو لا يعدو أن يكون شتلة مغروسة في أرض غير مستصلحة»[1].

لقد كانت الأرض كما قال غير مستصلحة، وكان استصلاحها مما بذل له آل عقبة كل طاقاتهم طوال أزيد من مائة عام، ومعهم من المخلصين لرسالة عقبة جماعة من أعيان الفاتحين.

لقد كان عقبة كما وصفه بعض الكتاب بطلا أسطوريا بحق، لأنه استطاع أن يكتب تاريخ الجهاد في الفتح بدمه الزكي بعد أن كان يكتبه في حياته الجهادية بالوقائع والحملات، ثم استشهد فترك الدنيا تلهج بذكراه في كل زمان ومكان.

---

(1) بلاد شنقيط: المنارة والرباط (ص283).

المبحث العاشر: مدلول الصحبة في الموروث الشعبي ودعوى الرواية عن الصحابة من الجن.

انطلقنا في هذا المبحث من التعبير باسم الدعوى على ما سنورده في هذا المبحث من نقول وأخبار اعتبارا بأن مضامينها لا تخضع للمقاييس العلمية المعتادة في الحكم على الأقوال والأخبار، ولكننا مع ذلك نذكرها باعتبارها من الثقافة العامة التي لها تأثير وجداني واسع يرتبط بالموروث الشعبي ومقدار تمثله للحقائق في صورها المفترضة بصرف النظر عن واقعيتها أو عدمها، وهي مع ذلك لا تخلو من نوع من الإيجابية في التفاعل مع الحقيقة الأصلية والقبول بها بوجه عام، ولا نعني بكونها دعوى أنها على مستوى واحد في اقترابها وابتعادها من الحقيقة التاريخية، وإنما سلكناها جميعا في سلك الدعوى، طالما أن معاييرنا المألوفة لا تتلاءم معها ثبوتا ونفيا، كما أن موازيننا في التعقل تقف دون استيعابها استيعابا منطقيا وعقلانيا مقبولا.

ولقد مرت بنا في إثبات الصحبة لرجال رجراجة السبعة أمثلة لم نحب أن نتوقف عندها، أشير بعجالة إلى واحدة منها، وتتصل بالدعوى المسترسلة التي تُقَص بها قصة سفر الرجال السبعة من بلاد رجراجة في الجنوب المغربي إلى مكة المكرمة، وكيف أن واحدا من السبعة، وهو سعيد بن يبقى، تخلف عن الرفقة بسبب مرضه الشديد وعجزه عن مواصلة الرحلة، فتركه أصحابه ومضوا، ولكنهم عندما التقوا برسول الله ﷺ وأخبروه بالمتخلف منهم في الطريق قال لهم: بل هو «السابق»، وأخرجه لهم من تحت ردائه، فلهذا يسمى إلى اليوم باسم «سيدي سعيد السابق». هكذا تقول الحكاية الشعبية المتداولة في المنطقة ـ وأنا من مواليد المنطقة ـ وهذه أطروحة شعبية رجراجية لا تقبل عند المروجين لها النقاش لدخولها في المأثور الشعبي وحصولها من جمهورها على القبول عبر العصور.

وعن مثل هذا عبَّر أبو سالم العياشي في رحلته المسماة «ماء الموائد» تحت عنوان: «لطيفة»، وساق قصة تتعلق بمدينة بالجبل الأخضر على الساحل الليبي، فذكر عمن حدثه «أن بها قبرا مشهورا يزار ويزعم أعراب البلد أنه قبر نبي، قال: فقلت له: الغالب أنه قبر صحابي، فقد نص المؤرخون على أن رويفع بن ثابت بن السكن الأنصاري النجاري من الصحابة قد توفي ببرقة وهو وال عليها من قِبَل مَسلمة بن مخلّد، وقتل ببرقة أيضا زهير بن قيس البلوي، ندبه عبد العزيز بن مروان إلى برقة، فلقي الروم، فقاتل حتى قُتل، وما ذاك إلا قبر أحدهما، **فإن كثيرا من العوام يطلقون اسم النبي على الصحابي، وقد شاهدنا كثيرا منهم يعتقدون في أبي بكر وعمر وعلي أنهم أنبياء**، ويظُن أن اسم النبي والصحابي مترادفان، فلما أخبرته بذلك فرح، وقال: ليس الأمر إلا كما ذكرت»[1]. ثم قال: «ولما رجعنا من الحجاز سنة 74هـ - يعني بعد الألف - لقيته ببلدة مسراتة وقال لي: إني قد ذهبت بعدك إلى المكان المذكور، وتأملت القبر وعليه كتابة وأمارات، ربما تدل على صحة ما ذكرت، وقال لي: وذكرت كلامك لبعض الأمراء في «درنة» فـفرح بذلك، وأمر بالبناء على القبر والتنويه به»[2].

وقد واجه العلامة أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي مثل هذه الأطروحات الشعبية في كتابه «طلعة المشتري في النسب الجعفري» نقلا عن «شرح عقود الجمان النفيس في أعيان شرفاء غريس» لأبي عبد الله الراشدي، وذلك في حديثه عن الصحابي وابن الصحابي عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما حيث قال: «وكانت لعبد الله بن جعفر في الشجاعة مواطن قفا فيها أثر والده «جعفر الطيار»، ذكرها غير واحد في فتوح الشام». قال: «وما شاع على ألسنة العوام من أنه أوقع الوقائع بإفريقية وتلمسان وغيرها من بلاد المغرب فهو باطل لا أصل له، بل لم يحضر عبد الله وقعة

(1) ماء الموائد للعياشي (ص150 - 151).
(2) نفسه (ص151).

إفريقية، ولم تتجاوزها الصحابة». قال الناصري:«أما شهود عبد الله فتح إفريقية فقد نص عليه ابن خلدون في كتاب «العبر» وناهيك به، نعم تلك الوقائع الخارقة للعادة التي ينقلونها في فتوح إفريقية باطلة، بل الحق أن عبد الله بن جعفر لم يشتهر بالشجاعة، وإنما اشتهر بالجود، وإن كان الجود والشجاعة قلّما ينفك أحدهما عن الآخر فيما يزعمون»[1].

ومن تتبع ذلك وجد قصصا كثيرة مما حشده الشيخ الرجراجي في كتاب «السيف المسلول» هو من هذا القبيل في الحديث عن سبق من رجال رجراجة إلى صحبة النبيﷺ، وسبقهم لعقبة في فتح المغرب، وقيامهم بجهاد برغواطة بقيادة يعلى بن مصلين، كما يدل على ذلك طبله المعلق قديما برباط شاكر كما تقدم، واستشهاد شاكر نفسه في حربهم كما ذكر ذلك الأستاذ محمد الرجراجي السعيدي في كتابه «رجراجة وتاريخ المغرب»[2].

ونقرأ في «السيف المسلول» في الاحتجاج لإمكان رحلة الرجال السبعة في عهد النبوة وإثبات سبقهم وصحبتهم مثل هذه الروايات التي ينقلها حيث يقول: «ووجدت في شرح ابن التلمساني على الشفا ـ وهو من أهل القرن العاشر ـ ما يُستغرب سماعه، أن ابناً لأبي جهل بعد فتح مكة ورد على المغرب لناحية آسفي وسكن بها، حكى ذلك أبو التقى صالح بن عبد الحليم، وقال: حدثني بنسبه إليه الشيخ الفقيه المسن أبو يعقوب الماجري، ثم ساق عموده إلى أبي جهل من جهة الولد المذكور»[3]. ثم قال الرجراجي:«ومثله في الغرابة ما ذكره ابن التلمساني أيضا نقلا عن الحافظ أبي

(1) طلعة المشتري في النسب الجعفري (1/ 50).

(2) انظر رجراجة وتاريخ المغرب (ص16).

(3) السيف المسلول (ص17). قلت: قرأت ما يتعلق بما ذكره ابن عبد الحليم المذكور فيمن وصل إلى النبيﷺ من المغرب مما ذكره في كتاب «الأنساب» فلم أقف فيه على قصة ابن أبي جهل. انظر الأنساب(ص69 ـ 78).

عبد الله محمد بن أبي علي الحسن أبركان قال: «ذكر أبي عن شيوخه أن في غزوة الأحزاب سار فيها لنصرة قريش من رجال صدينة من المغرب الأقصى أربعون رجلا أو فارسا. ذكره الجزولي»[1].

ومثل هذه الحكايات التي لا خطام لها ولا زمام تساق في مساق الاستدلال بها على سبق أهل المغرب، وهو سبق غير مشرف حتى لو لم يكن مجرد أسطورة لا حقيقة لها، لا سيما والغرض من إثباته تفويت السبق إلى فتح المغرب عن عقبة رضي الله عنه، وهو حدث جليل رأينا آثاره وتقصينا أخباره في المشاهد والمساجد وأعيان الأبطال المجاهدين من ذريته.

❁الطرح الصوفي للصحبة عند بعض الطرق.

وإلى جانب هذا الطرح الشعبي الذي لا تشهد له الوثائق التاريخية، هناك أنواع أخرى من الصحبة، منها ما يمكن تسميته «صحبة اعتبارية» أي باعتبار صحبة أحاديثه وآثاره أو ما يطلق عليه بعض المشايخ «صحبة الأنفاس النبوية»، وفيها كنا نسمع مشايخنا يذكرون في سياق التنويه بشرف أهل الحديث هذا البيت:

أهل الحديث هم صحب النبي وإن ... لم يصحبوا نفسه أنفاسه صَحبوا

ومن هذا المنطلق كانوا يغتبطون بقلة الوسائط في الرواية، لا من جهة مظنة سلامة الأسانيد فقط، وإنما لما في قلتها من معنى القرب من النبي ﷺ، أو ممن يروي حديثه أو شمائله. وبهذا «القرب من المصطفى ﷺ» نوّه العلامة الرصاع في نقل أورده جاء فيه: «ذكر البُرزُلي أنه أنشده شيخه الشيخ الصالح أبو الحسن محمد البطرني عن

(1) نفسه (ص17).

شيخه أبي عبد الله محمد أحمد بن حيان لنفسه ـ رحمه الله ـ في سنده لكتاب «الشفا» للقاضي عياض:

أحبابنا هذا الشفا ... بالقرب من سند «الشفا»
بيني وبين عياضه ... شيخان من أهل الصَّفا
شرف الوجود بأسره ... قرب النبي المصطفى
صلى عليه الله ما ... شفع الحبيب وشُرِّفا

وفي مثل هذا يقول شيخ الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي في أرجوزة ذكر فيها سنده في القراءات من طريق أبي زيد الشريف المنجرة عن شيوخه من أهل المشرق:

وطرق الشرق كثيرة العدد ... كطرقٍ للغرب فاترك اللَّدد
إذِ المراد الاتصال بالرسول ... فلُمعةٌ منها كفاءٌ فأقول[1]

(1) انظر السند في كتابنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة (4/ 412 ـ 413).

❁ **السند عن المعمرين وعن الجن.**

وانتهاجا منهم لهذا المهيع في التعلق بالأسانيد العالية لم يجدوا حرجا في مصادمة أصول الرواية المجمع عليها من أوصاف العدالة والضبط والبعد عن الشذوذ والعلة القادحة ورواية غرائب المتون، فإنهم رووا عن طائفة من المعمرين ممن ادعوا الإدراك والصحبة أو ادعيت لهم، أو ادعوا إدراك بعض الصحابة، وكل ذلك منهم إنما نتج عن الشغف بالأسانيد العالية القليلة الوسائط، ولكي يقرب بعضهم على نفسه الشقة روى وأسند من طريق الجن والعفاريت ضاربا عرض الحائط بكل ما اشترطه العلماء في الرواية، وزاعما أن تلك الشروط لا تلزمه لأن المروي عنه صحابي، والصحابة كلهم عدول.

وقد نشر طارق بن عبد الرحمن الحمودي تأليفا له على شبكة «الأنترنت» سماه «كتاب إظهار الغرابة بذكر الجن من الصحابة» ساق فيه الكثير من النقول عن المتأخرين من أهل المغرب مما يتصل بالرواية عن الجن وتعرض لذكر مستندات بعضهم في ذلك كما صرح به. يقوله فيه: «أما بعد: فقد ألف في ذكر أسماء الصحابة وشيء من أخبارهم وفضائلهم ثلة من فضلاء أهل العلم، والذي يثير اهتمامك في بعضها أنهم ذكروا صحابة من الجن. وقد ذكر شيخ شيخنا عبد الحي الكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات»[1] أن هناك تأليفا في إثبات صحبة شمهروش الجني لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد بن العربي بن يوسف بن عبد السلام الفاسي لقبا ودارا، المتوفى بفاس سنة (1214هـ) وقال أيضا: «وهو عندي بخطه في أربع ورقات»[2]. ثم قال: «وكان شيخنا بوخبزة قد أخبرنا أن

(1) فهرس الفهارس (1/ 338).

(2) نفسه (2/ 848).

أحمد بن الصديق ألف كتابا سماه «مسند الجن». لكنه لم يظهر، ولربما لم يكن له وجود أصلا». ثم قال: «قال شيخ شيخنا عبد الحفيظ الفاسي في «الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات»[1]: «وقد أنكر ذلك جماعة من أهل الحديث، وإنما أوردنا ذلك تبعا للمتأخرين من أرباب الفهارس، وجمعا للنظائر. قال أبو سالم العياشي في «مسالك الهداية»: جرت عادتهم برواية ما كان مثل هذا مع إنكاره، كأحاديث المعمر والخضر، ثم قال حاكيا عن ابن عقيلة في «مسلسلاته» قائلا: إن هذا الأمر لما لم يكن متعلقا بشيء من الأحكام، بل هو أمر متبرك به، قبلته الأئمة الأعلام، ولو كان في الأحكام والاستنباطات لما قبل هذا السند، وفيه ما فيه». ثم قال: «وقال الشيخ مرتضى - يعني الزبيدي - في «التعليقة الجليلة على مسلسلات ابن عقيلة»: وما رأيت لأحد من الحفاظ المتقدمين كلاما في القاضي شمهروش، وفي ابنه علي، وفي لقيه به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن الجن كانت تجتمع به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتأخذ عنه، وهذا كله وإن لم يفد شيئا على طريقة المحدثين وعلماء الظاهر، لكن يفيد عند أرباب الباطن الذين ألهموا صدق ذلك الجني فيما أخبر به، ويفيد هؤلاء الملهمين التبرك والانتظام في سلك هذا السند». ثم قال: «لكن قد توقف في الرواية عن الجن بعض الحفاظ؛ لأن شرط الراوي العدالة والضبط، وكذا مدعي الصحبة شرطه العدالة، والجن لا نعلم عدالتهم، مع أنه ورد الإنذار بخروج شياطين يحدثون الناس، وإثبات صحبة شخص وعدالته من الأمور الشرعية، وليس الإلهام من الطرق عند أهل العلم التي يستدل بها في الشرعيات؛ لأن الإلهام ربما لا يكون صحيحا، وهو مثل الكشف في ذلك، فقد صرح العلماء أن الكشف يخطئ ويصيب». قال: «ويلزم من إثبات صحبة الجني بالإلهام تصديقه فيما يخبر به عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وربما يكون كاذبا

---

(1) الآيات البينات (1/ 31).

في دعواه، فنكون قد أثبتنا صحبة شخص للنبيﷺ من غير اعتماد شيء يفيد، إلا على الإلهام الذي ليس بحجة في الشرعيات، فندخل في الوعيد الوارد في قوله ﷺ: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

وقد ساق صاحب المقال الحديث المسلسل بالمصافحة من طريق الشيخ محمد بن جعفر الكتاني وفيه قوله:«وسمعت الحديث المسلسل بالمصافحة الشمهروشية بالسند المذكور إلى الشيخ سيدي محمد صالح عن السيد الجليل عبد الوهاب الموصلي قال: صافحت إسماعيل كما صافحه أحمد المنني كما صافحه السيد الجليل عبد الغني المقدسي كما صافحه القاضي أبو محمد شمهروش صاحب سيدنا رسول الله ﷺ، قال: «اجتمعت مع سيدنا رسول الله ﷺ في جبل أحد فقال لي: ياشمهروش صافحني، فإنه من صافحني أو صافح من صافحني أو صافح من صافح من صافحني إلى سبع مرات دخل الجنة من غير سابقة عذاب»».

ثم قال الكاتب: «وذكر العلامة اليفرني في «صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر» عن أبي العباس أحمد العجمي في فهرسته قال: لم أجد لشمهروش ذكرا في معجم الصحابة، والله أعلم. قال اليفرني: «يعني مع أن صاحب الإصابة تتبع أسماء الصحابة من الجن فذكر منهم عدة، ولم يتعرض لشمهروش مع شهرة أمره عند الناس، لكن أمره تواتر، وشاع وتكاثر، وإخبار غير واحد بالاجتماع به من ذوي البصائر معلوم، وإذعانهم لجنابه مقرر مرسوم، وهم القدوة، ولنا فيهم إسوة، وعدم ذكرهم له في الصحابة لا يخدش في هذا المطلب؛ لأن اجتماع الجن معه ـ عليه السلام ـ مما لا يخفى في الأغلب، والله أعلم بالصواب»[1].

---

(1) من موقع الملتقى العلمي للعقيدة والمذاهب المعاصرة رقم الحديث 13.

إنه إذن اختلاف المعايير بين علم العلماء، وأصحاب الدعاوى التي تتعلق بالحديث عن البصائر والإلهامات والخوارق التي لا يشهد لها دليل. والغريب من هذا أن يتعلق بهذه الغرائب علماء أجلاء ثم يصل الأمر إلى أن يسندوا من طريق هذه المخارق كتاب الله عز وجل بالروايات.

وهاهو الشيخ أبو عبد الله بن عبد السلام يدرج السند الشمهروشي في أسانيده للقراءات السبع من طريق أبي زيد عبد الرحمن بن إدريس المنجرة عن والده إدريس بن محمد بأسانيده، وقد نظم ما يتعلق به غرضنا بقوله:

أخذت عن سيدنا الإمام ... العالم الدراكة الهمام

شيخ الجماعة بقطر فاس ... الحسني العاطر الأنفاس

الحافظ النحرير ذي الإتقان ... الألمعي عابد الرحمن

عن الرضا والده أبي العلا ... ثمت عن أبي الفدا شيخ الملا

فالشبراملسي علي ثم عن ... الحلبي صاحب الهدي الحسن

عن شمهروش صاحب الرسول ... عنه عن الأمين جبرائيل[1]

ومن الطريف أنه صدَّر أسانيده المنظومة بهذا السند الشمهروشي، وربما لكونه قليل الوسائط؛ إذ ليس فيه بين إدريس المنجرة (ت1137هـ) إلا أربع وسائط رابعها هذا الصحابي الجني المزعوم.

وفي فهرس الفهارس حين أسند سنده بالمصافحة الشمهروشية مما ذكر أنه حدثه به أبو عبد الله محمد بن المدني الشرقاوي بآنفا عام 1321هـ ثم ذكر سنده إلى شمهروش

(1) انظر كتابنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة (4/ 211).

قال: «فهو على هذا لنا رباعي، وقد حصل للسيد مرتضى سداسياً فافتخر به قائلاً في «ألفية السند» له في ترجمة شيخه البلدي:

وخذ لإسنادِ حديثٍ عال *** من طرقِ الجنّ بالاتصالِ»[1].

ويزيد الشيخ الكتاني إمعانا في هذا المهيع فيقول:«ومن عواليه روايته للقرآن الكريم عن حميد السندي عن ابن حجر المكي عن محمد بن أبي الحمائل السروري عن تابعيّ معمر من الجن عن صحابيّ جني عن النبي ﷺ »[2].

فانظر إلى حال هذه العوالي المزعومة في رواية القرآن الكريم عن تابعي مجهول الاسم والعين عن صحابي مثله، بأي معيار يمكن اعتبارها في باب الأسانيد؟ ولكنه هاجس علو السند وطلب القرب من الرسول ﷺ بأي وسيلة.

وقد أشار العلامة الفاضل الدكتور الحسن وكاك في رسالته عن «تقييد وقف القرآن الكريم» للشيخ أبي جمعة الهبطي إلى تعلق المتأخرين من مشايخ الرواية بالمغرب فقال: «وإدراج الجن في السند العلمي لم يكن معيبا عند قراء المغرب المتأخرين، بل كانوا يفتخرون به كما حدثني بذلك الشيخ أحمد أبو عبيدة الفيلالي عن المقرئ ابن المبخوت الفيلالي أنه كان يقول مفتخرا بالقراءة الفيلالية على قراءة النواحي الأخرى من المغرب: قراءتنا فيها رائحة الجنون، وقريبة من الرسول»[3].

---

(1) فهرس الفهارس (/ 703 ـ 704) ترجمة 453.

(2) نفسه (2/ 583) ترجمة 486.

(3) تقييد وقف القرآن الكريم للدكتور وكاك (ص103).

⊛الطرح الصوفي للصحبة ورؤية المشايخ له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقظة ومشافهتهم له.

وفي مقابل هذا التعلق بالصحبة ودعوى الرواية عن الصحابة نجد عند بعض الطرق الصوفية طرحا آخر للصحبة يمكن أن يدخل أيضا تحت مسمى «الصحبة الاعتبارية» بمفهومها الصوفي عندهم.

يقول الشيخ محمد العربي السايح أحد كبار أتباع الطريقة التيجانية وصاحب الزاوية المعروفة بالرباط في كتابه «بغية المستفيد بشرح منية المريد»: «قال في منية المريد وهو يتحدث عن كرامات الشيخ التجاني:

ومنه رؤية النبي الهادي ... وهي لديهم غاية المراد

وعنه لا يغيب لمح بصر ... يقظة فياله من منظر

في يوم الاثنين ويوم الجمعةِ ... رائيهِ يدخل غداً في الجنةِ

بلا حسابٍ لا ولا عقاب ... بل هو آمن من العذاب

ثم يشرح الأبيات فيقول: «ولا يذهب بك الوهم إلى أن تنفي الخصوصية الكبرى والمزية العظمى عمن أكرمه الله تعالى بهذه الكرامة التي هي الرؤية له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقظة ومشافهة، حيث انتفت عنه «درجة الصحبة»، فإن «درجة الصحبة» درجة سامية لا مطمع في دركها لأحد مما عدا صحابته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لمكان صحبتهم لجسده الطاهر ﷺ في مدة وجوده الحقيقي الخارجي، ولقوله ﷺ: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحد منهم ولا نصيفه»[1].

(1) بغية المستفيد (ص209 ـ 213).

ثم قال صاحب منية المريد عن حصول ذلك لشيخه في موضع نزوله وأخذه المشيخة عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

وفتح الله بهذا العام	فتحا لشيخي الكامل الهمام
بأن رأى بالعين عين الرحمة	يقظة فصار عين الأُمة
وقال: دع كل شيوخك وذر	أنا مربيك وشيخك الأبر
وقال: أنت وارثي وحسبي	وولدي حقا بغير عتب
وكان فتح شيخنا ذي الدين	بقصر الاسعاد أبي سمغون

وقال السائح في شرحه للأبيات في «بغية المستفيد»: «وفي هذا العام انتقل سيدنا رضي الله عنه من تلمسان، فتح الله تعالى بفضله له فتحا كاملا واضح البرهان، وذلك بأن رأى بعيني رأسه يقظة وجه سيد الأكوان، وتشرف بمشاهدة طلعة سيد ولد عدنان ﷺ، وصرح له ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه شيخه ومربيه وكامله، وأنه لا منة لمخلوق سواه عليه من الأنام، وأمره بترك جميع ما أخذه من مشايخ الطريق، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل على التحقيق، فلقنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طريقته من الأوراد، وافية بكل غرض ومراد»[1].

ومن الطريف أن صحبة شمهروش أيضا كانت حاضرة عند صاحب البغية وصالحة للأخذ عن صاحبها، يقول في شرح قول «منية المريد»:

وكل ما ينال كل عارف	من الخلال ومن المعارف
فشيخنا أخذه من النبي	وحزبه بنيله للرتب
فخضعت رقاب الأولياء	لقدمي شيخي بلا امتراء

---

(1) بغية المستفيد (ص 174 ـ 175).

ثم يقول بعد شرح الأبيات:«ولم ينقل عن أحد من أهل الطريق أنه شيَّخ جنيا في الطريق، إلا ما في بعض طرق المسلسل بالمصافحة، وكذلك تلقي بعض العارفين لبعض الأسرار الخاصة من خاصتهم، كتلقي سيدي علي حرازم تلميذ سيدنا رضي الله عنه للحزب السيفي وغيره من الأسرار مشافهة من القاضي أبي محمد شمهروش الصحابي المعروف رضي الله عنه وذلك بإذن من سيدنا رضي الله عنه كما هو معروف عند الأصحاب. قال: وكان أخذ الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنهما فاتحة الكتاب بالقراءة الورشية متصلة ميم البسملة بالحمد لله رب العالمين، عن عبدالمومن الجني الصحابي رضي الله عنه لما لقيه ببدر حين حج، عن رسول الله ﷺ حسبما وقفنا عليه في أسانيد بعض العلماء»[1].

فهذه رواية الشيخ علي حرازم صاحب كتاب «جواهر المعاني» الذي هو عمدة الطريقة التيجانية، يروي «الحزب السيفي» وغيره من الأسرار عن هذا الصحابي المزعوم من الجن، وهو شمهروش في القرن الثاني عشر الهجري؛ لأنه تلميذ الشيخ التيجاني دفين فاس المتوفى سنة 1130هـ. في حين يذكر الشيخ السائح رواية الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي لرواية ورش من طريق جني آخر من الصحابة غير شمهروش، ويزيد على ذلك أن ابن ناصر لقيه الجني عبد المومن ببدر حين حج، ولا أدري كيف التقيا ببدر مع بعد بدر عن كل من مكة والمدينة، كما لا أدري كيف يروي عبد المومن الجني الصحابي رواية ورش عن رسول الله ﷺ وورش، وهو عثمان بن سعيد المصري راوي القراءة عن نافع المدني، ونافع إنما عاش ما بين عامي 70ـ 169هـ، وكذلك ورش صاحب الرواية المذكورة إنما عاش في القرن الهجري الثاني ما بين عام 110ـ 197هـ، فكيف يروي عبد المومن الجني الصحابي قراءة ورواية عن رسول الله ﷺ،

---

(1) بغية المستفيد (ص 234).

وكل من صاحب القراءة والرواية لم يولد بعد، وإنما يولدان بعد عشرات السنين؟! وإنما الجواب يكمن في اختلاف مستوى التفكير وتباين المعايير. ونحن لا نستغرب من أن نجد مثل هذه الترهات في «بغية المستفيد» وما شاكلها، وإنما الذي يدعو إلى الاستغراب حقا أن نجد مثل الشيخ عبد الباقي الأيوبي في كتاب «المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة» يقبل مثل هذه الروايات عن أشخاص من الجن لا حقيقة لهم مع الاعتداد بصحبتهم ورواياتهم، وأغرب من ذلك وأدهى وأمر أن تتعلق الرواية بكتاب الله الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[1].

وأطرف من ذلك أن يذكر في الأسانيد فقهاء لهم اعتبار، كهذا السند الذي يروي فيه الأيوبي قراءة فاتحة الكتاب بسند متصل إلى الشيخ علي الأجهوري المصري الفقيه المالكي فيقول: «وهو قرأها على النجم الغيطي، وهو قرأها على القاضي شمهروش الجني الصحابي، وهو قرأها على النبي ﷺ»[2].

ثم يروي الفاتحة أيضا من طريق الشيخ ابن ناصر الآنف الذكر مسلسلة عمن سماه «العارف بالله سيدي أحمد بن ناصر عن عبد المومن الجني البدري الصحابي عن النبي ﷺ بقراءة ورش مقصورة»، يعني «ملك يوم الدين» دون ألف كما هي في قراءة نافع[3].

وقد أسند الشيخ عبد الحي الكتاني نحوا من هذا في فهرس الفهارس من طريق جني ثالث بسنده إليه فقال في سند المصافحة «عن المعمر محمد بن عبد الفتاح الجني عن شمهروش عن النبي ﷺ»[4].

---

(1) فصلت: الآية 42.

(2) المناهل السلسلة (ص78 ـ 79) رقم المسلسل 55.

(3) انظر المناهل السلسلة (ص79) رقم المسلسل 79.

(4) فهرس الفهارس (2/ 703 ـ 704) ترجمة 453.

وتعالوا معي لننظر كيف هي غبطة بعض البسطاء بالحصول على مثل هذه الإجازات المفتعلة عن صحابة من الجن لا وجود لهم إلا في هذه الروايات التي لا تخضع لمنهج من مناهج أهل العلم بما تثبت به النقول. اجتمع الشيخ الولاتي في رحلته المدونة باسم «الرحلة الحجازية» وهو في طريق العودة بشيخ من شيوخ الإسكندرية يدعى إبراهيم محمد نوار وأملى عليه هذه الإجازة فكتبها بخطه، ووقع له عليها الشيخ الولاتي. وفيها بعد الاستفتاح قوله: «أما بعد، فقد أسعدنا الحظ بالاجتماع بمولانا قاضي القضاة بجهة الحوض بصحراء المغرب الكبرى محمد يحيى بن محمد المختار الوَلاَتي نسبة إلى مدينة وَلاَتة ببلاد الحوض.... وشابكنا كما شابكه شيخه عثمان بن أحمد، كما شابكه شيخه الطالب الأمين، كما شابكه شيخه سيدي محمد بن الحاج، كما شابكه الجني شنفور بن الصيص، قال: شابكت رسول الله ﷺ ليلة الجن». قال شيخنا محمد يحيى المذكور: «فهو من الوفد الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة الجن. كتبه الفقير إبراهيم محمد نوار الشافعي السكندري بإملاء شيخنا المذكور، نفعنا الله به، آمين». وتحتها توقيع الفقيه الولاتي بتاريخ 12 جمادى الثانية 1314هـ.

وهذه الإجازة مصورة في ترجمة الولاتي في «الإعلام» للزركلي، وفيها ـ كما نرى ـ أن الفقيه الولاتي في القرن الرابع عشر الهجري يروي عن النبيﷺ مسلسل المشابكة باليد في السلام، وليس بينه وبينه إلا أربع وسائط، وأول هذه الوسائط جني من وفد نصيبين الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة الجن بمكة المكرمة قبل الهجرة. وراوي المشابكة في هذه المرة ليس شمهروش كما في أسانيد عبد الباقي الأيوبي والشيخ عبد الحي الكتاني، وإنما هو شنفور بن الصيص كما تزعم الرواية. ومعنى هذا أن الصحابة من الجن كانوا ما زالوا أحياء تؤخذ عنهم الروايات عن النبي ﷺ بعد وفاته بأكثر من اثني عشر قرنا.

ولنا نحن بمعاييرنا أن ننتقد كما نشاء، ولكن ذلك لا يستطيع أن يلغي مثل هذه الثقافة الشعبية إن صح أن تسمى ثقافة، لكونها ثقافة متجدرة في التربة الصوفية التي لا تعطي كبير أهمية للمنهج العلمي والمنطق العقلي، وهي على كل حال جزء من التراث الشعبي المكتوب الذي يملأ فهارس الفقهاء والمتصوفة ويُكَوِّن جزءا من الموروث يمثل مستوى من التصور والتصديق لا سبيل إلى إلغائه.

خاتمة

وبعد فلعلنا من خلال مباحث العرض قد استطعنا أن نتابع آثار الصحابة الكرام في المغرب بين معايير التاريخ الموثق في مصادره المعتبرة، والموروث الشعبي المدون منه والشفوي، من خلال ما استقصينا من أخبار عقبة بن نافع الصحابي وآثاره، ومشروعه في فتح المغرب ومن كان معه من الصحابة الكرام، وما خلَّفه في المغرب من آثار تجسّدت في المشاهد والمساجد والرباطات، كما تمثلت في جهاد «آل عقبة» من بعده في أقطار مصر وإفريقية والأندلس والمغرب لمدى مائة عام، كما أجرينا موازنة بين آثار عقبة وأولاده في الفتح، وبين من ينازعونه في السابقة والفتح من رجال رجراجة السبعة، وما كان لهم بسبب صحبتهم المزعومة المتقدمة على وصول عقبة إلى المغرب، ثم ختمنا بمبحث هام في نوع مما سميناه «صحبة التبرك» أو «الصحبة الاعتبارية» كما تمثلت في المفهوم الصوفي والتصور الشعبي من خلال الرواية عن صحابة مزعومين من الجن. ورأينا أن الباعث الأكبر في التعلق بالرواية عنهم على عِلاّتها هو طلب القرب من الرسول ﷺ عن طريق الإسناد العالي، لما فيه من قلة الوسائط. وبقدر ما كشفنا عن تهافت هذه الروايات التي تملأ كتب الفهارس والرحلات، وأبنَّا عن مجافاتها للمنطق العقلي والمنهج العلمي، فقد لاحظنا من جانبها الإيجابي أنها تمثل تمجيداً وإكباراً لمنصب «الصحبة النبوية»، وهي تسعى من خلال مثل هذه الروايات إلى الاقتراب من المشكاة النبوية عن طريق الرواية القصيرة السند، ولو اقتضى الحال أن تكون عن مثل عبد المومن الجني والقاضي شمهروش وشنفور بن الصيص والقائمة طويلة، ولا يعنيها أن يكون لهم وجود أو لا يكون.

والحصيلة في النهاية أن ذلك كله يجسد مقدار تغلغل محبة الصحابة الكرام في الوجدان المغربي، وانعكاس تلك المحبة وذلك التعلق في الموروث الشعبي بمختلف صوره مما لم يسمح المجال بالتوسع فيه. ورحم الله الشيخ شرف الدين البوصيري الصنهاجي الأصل ـ من صنهاجة المغرب ـ حين يقول في «همزيته» في وصف الصحابة الكرام متوجها بالخطاب إليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

وبأصحابك الذين هـمُ بعـ	ـدك فينا الهداةُ والأوصياء
أحسنوا بعدك الخلافة في الد	ين، وكل لما تولى إزاء
أغنياءٌ نزاهةً فقراءٌ	علماءُ أئمةٌ أمراء
زهدوا في الدنيا فما عرف الميـ	ـل إليها منهم ولا الرغباء
أرخصوا في الوغى نفوس ملوك	حاربوها أسلابها إغلاء
كلهم في أحكامه ذو اجتهاد	وصواب وكلهم أكفاء
رضي الله عنهمُ ورضوا عنـ	ـه فأنى يخطو إليهم خَطاء
جاء قومٌ من بعد قوم بحق	وعلى المنهج الحنيفي جاءوا
ما لموسى ولا لعيسى حَوار	يُّون في عدِّهم ولا نقباء

فرضي الله تعالى عن جميع أصحاب رسول الله ﷺ، ونفعنا بمحبتهم وحشرنا في زمرتهم. آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله

فهرس المصادر والمراجع

- الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق محمد بن مجقان الجزائري ـ دار المغني ـ الرياض، ط 1/1420هـ ـ 1999م.
- الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مراكشي موحدي من أهل القرن السادس، تحقيق محمد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ـ الدار البيضاء: 1985م.
- الاستدراك على الاستيعاب للحافظ أبي إسحاق إبراهيم الطليطلي الأندلسي المعروف بابن الأمين ، رواية أبي القاسم بن بشكوال ، دراسة وتحقيق الأستاذة حنان الحداد ـ منشورات وزارة الأوقاف المغربية ـ مطبعة النجاح ـ الدار البيضاء: ط 1 / 2008م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب ـ الدار البيضاء: 1956م.
- الاستيعاب في معرفقة الأصحاب (بهامش الإصابة لابن حجر).
- أسد الغابة في معرفة أسماء الصحابة لابن الأثير، طبعة طهران: 1980م.
- آسفي وما إليه قديما وحديثا لمحمد بن أحمد العبدي الكانوني، نشر المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة: 1353هـ
- الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة مصطفى محمد بمصر ـ القاهرة ، 1359هـ ـ 1939م.
- الأعلام لخير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين ، ط10 ـ بيروت ـ لبنان.
- الأعلام لخير الدين الزركلي (المستدرك)، طبعة بيروت 1980م.
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام للسان الدين بن الخطيب السلماني، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد مختار العيادي والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتاب ـ الدار البيضاء: 1964م.
- أقرب المسالك إلى موطإ الإمام مالك للشيخ التهامي كنون.

- الاكتفا في سيرة النبي ﷺ والثلاثة الخلفا للإمام الكلاعي الأندلسي، تحقيق مصطفى عبدالواحد: 1970م.
- الأنساب لابن عبد الحليم ، مخطوط خ. ع. ك رقم 1275.
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لعلي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة ـ الرباط سنة 1972م.
- الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات للشيخ عبد الحفيظ الفاسي.
- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، طبعة مكتبة المعارف ـ بيروت.
- بغية المستفيد للشيخ محمد العربي السايح ـ المطبعة المهدية ـ تطوان.
- بلاد شنقيط: المنارة والرباط، للخليل النحوي ، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة ـ تونس: 1987م.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان.
- بيوتات فاس الكبرى لإسماعيل بن الأحمر ومن معه ـ دار المنصور للطباعة ـ الرباط:1972م.
- تاريخ ابن خلدون ـ المطبعة المصرية ـ القاهرة: 1391هـ ـ 1971م.
- تاريخ إفريقية والمغرب لأبي إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، تحقيق د.عبد الله العلي الزيدان ود.عز الدين عمر موسى، طبعة دار الغرب الإسلامي، ط1/1990م.
- تاريخ خليفة بن خياط لأبي عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري الملقب بـ «شباب»، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة ـ الرياض ط2/1405هـ ـ 1985م.
- تاريخ المصحف العثماني في المغرب للعلامة محمد المنوني: دعوة الحق ـ العدد 4 /22 يونيو ـ يوليوز 1981م.
- تاريخ المغرب العربي للدكتور سعد زغلول عبد الحميد ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.
- التشوف إلى رجال التصوف لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط 2 /1997م.

- تقييد وقف القرآن الكريم للهبطي دراسة وتحقيق الدكتور الحسن وكاك ـ مطبعة النجاح ـ الدار البيضاء: 1411هـ ـ 1991م.
- تكميل الصلحاء والأعيان (ذيل معالم الإيمان) لمحمد بن صالح الكناني القيرواني، تحقيق محمد العنابي ـ المكتبة العتيقة ـ نهج جامع الزيتونة ـ تونس/1970م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لأبي محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي الأزدي الأندلسي، تحقيق دة. روحية عبد الرحمن السويفي، منشورات دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/1417هـ ـ 1997م.
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي، تحقيق وتعليق إ.ليفي بروفنسال، طبعة شركة نوابغ الفكر ـ القاهرة، ط 1 /2009م.
- جواهر الكمال في تراجم الرجال لمحمد بن أحمد الكانوني العبدي ـ المطبعة العربية ـ الدار البيضاء ـ مطبعة ربانيت ـ آسفي: ط2004/2 م.
- الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب للدكتور حسن جلاب، كلية اللغة العربية ـ مراكش.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي، المطبعة الشرقية، القاهرة.
- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية لمحمد المشرفي.
- دراسات في تاريخ الدولة العلوية للدكتور مصطفى أبو ضيف أحمد.
- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية لمحمد بن علي السنوسي.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصا لعبد السلام بن سودة ـ الدار البيضاء: 1960م.
- ذكريات مشاهير رجال المغرب للأستاذ عبد الله كنون الطنجي ـ دار الكتاب اللبناني.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي المراكشي، السفر الأول والثاني بتحقيق د.محمد بن شريفة. والسفر الرابع والخامس والسادس بتحقيق د. إحسان عباس، نشر دار الثقافة بيروت، والسفر الثامن بتحقيق د. محمد ابن شريفة ضمن مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984م.
- ديوان شعري (مخطوط) للدكتور عبد الهادي حميتو.

- رجراجة في تاريخ المغرب للأستاذ محمد السعيدي الرجراجي، نشر جمعية حوض آسفي/1424هـ 2004م.
- رحلة الرحلات للدكتور عبد الهادي التازي، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي/1426هـ ـ 2005م.
- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها لأبي محمد بن حزم الأندلسي، مطبوعة ضمن رسائل ابن حزم، الرسالة رقم 5، من (ص170 إلى ص188)، تحقيق د.إحسان عباس، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، ط1/1981م.
- ابن رشيق المرسي: حياته وأثاره للدكتور محمد بنشريفة: منشورات وزارة الأوقاف/1429هـ
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، تحقيق بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، نشر دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ط1/1401هـ ـ 1981م.
- السيف المسلول على من أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول لعبد الله بن محمد ابن البشير الرجراجي السعيدي ـ مطبوعات معهد الشعبي بالصويرة.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر دار الكتاب العربي، سنة1404هـ/1984م.
- صحيح البخاري بحاشية السندي، طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة/1956م.
- صفة جزيرة الأندلس من الروض المعطار للحميري، نشر إ.ليفي بروفنسال ـ جامعة الجزائر ـ الجزائر.
- صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر لليفرني المراكشي، طبعة على الحجر ـ فاس.
- طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.
- طلعة المشتري في النسب الجعفري للشيخ أحمد بن خالد الناصري ـ طبعة على الحجر ـ فاس.

- غاية النهاية في طبقات القـراء لشمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره ج برجستراسر، طبعة دار الكتب العلمية- بيروت، ط2/1400هـ1980م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعة دار السلام - الرياض - دار الفيحاء - دمشق، ط:1418هـ/1997م.
- فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف - مصر - القاهرة.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي ابن عبدالكبير الكتاني، باعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط2/1402هـ - 1982م.
- القبلة لابن عبد الحليم، مخطوط الخزانة العامة بالرباط في مجموع برقم 985 ق.
- القراءات بإفريقية تأليف هند شلبي، نشر الدار العربية للكتاب/1983م.
- قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري للدكتور عبدالهادي حميتو، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، سنة1424هـ/2003م.
- القصيدة الحصرية في قراءة الإمام نافع لأبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري، تحقيق د.توفيق العبقري ، ط مكتبة أولاد الشيخ - مصر ط1/1423هـ 2002م.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير.
- كتاب الطبقات لأبي عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري الملقب بـ «شباب»، تحقيق د. أكرم ضياء العمري ، دار طيبة - الرياض، ط2/1402هـ1982م.
- كتاب الفتوح لأبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي، تحت إشراف د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، تصوير دار الندوة الجديدة - بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، منشورات مكتبة المثنى - بغداد - العراق.
- ماء الموائد (الرحلة العياشية) لأبي سالم العياشي، إعداد محمد حجي، ط2/1397هـ - 1989م.
- مجمل تاريخ المغرب لعبد الله العروي، جامعة الحسن الثاني - الدار البيضاء.

- المحاضرات للإمـام الحسن بن علي اليوسي، إعداد محمد حجي، الرباط/1396هـ - 1975م.
- مصنف أبي بكر عبد الرزاق بن همـام الصنعاني، تحقيق حبيـب الـرحمن الأعظـمي، طبعـة المكتب الإسلامي - بيروت، ط 1403/2هـ - 1983م.
- معالم الإيمـان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنـصاري الأسـيدي الدباغ، أكمله وعلق عليه أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيـق محمـد مـاضور، الناشر المكتبة العتيقة بتونس ومكتبة الخانجي بمصر.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، تقديم د.مـمدوح حـقي، نـشر دار الكتاب - الدار البيضاء - المغرب.
- معلمة المغرب، تأليف جمـاعة من الباحثين.
- مفاخر البربر لمؤلف مجهول، طبعة الرباط/1934م.
- المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب لأبي بكـر بـن علي الـصنهاجي المعـروف بالبيدق، طبعة دار المنصور وطبعة باريس.
- مقدمة ابن خلدون، طبعة دار الفكر - دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء.
- المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة للشيخ عبد الباقي الأيـوبي، نـشر دار إحيـاء علـوم الدين - بيروت - لبنان.
- منح الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية، تحقيق الأستاذ الدكتور توفيق العبقـري - طبعة وزارة الأوقاف المغربية.
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية لعبد العزيز بنعبد الله، مـن مطبـوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ، مطبعة فضالة - المحمدية، 1395هـ/1975م.
- موقع الملتقى العلمي للعقيدة والمذاهب المعاصرة (شبكة الأنترنت).
- نزهة الحادي بأخبار ملوك القـرن الحـادي لمحمـد الـصغير الإفـراني، تحقيـق عبـداللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضـاء، ط1/1419هـ1998م.
- نظم الجمـان لابن القطان ، تحقيق محمود علي مكي - المطبعة المهدية - تطوان.
- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك لأبي فارس عبد العزيز الملزوزي - المطبعة الملكيـة - الرباط (مطبوعات القصر الملكي).
- الولاة والقضاة للكندي، نشر مؤسسة قرطبة - القاهرة - مصر.